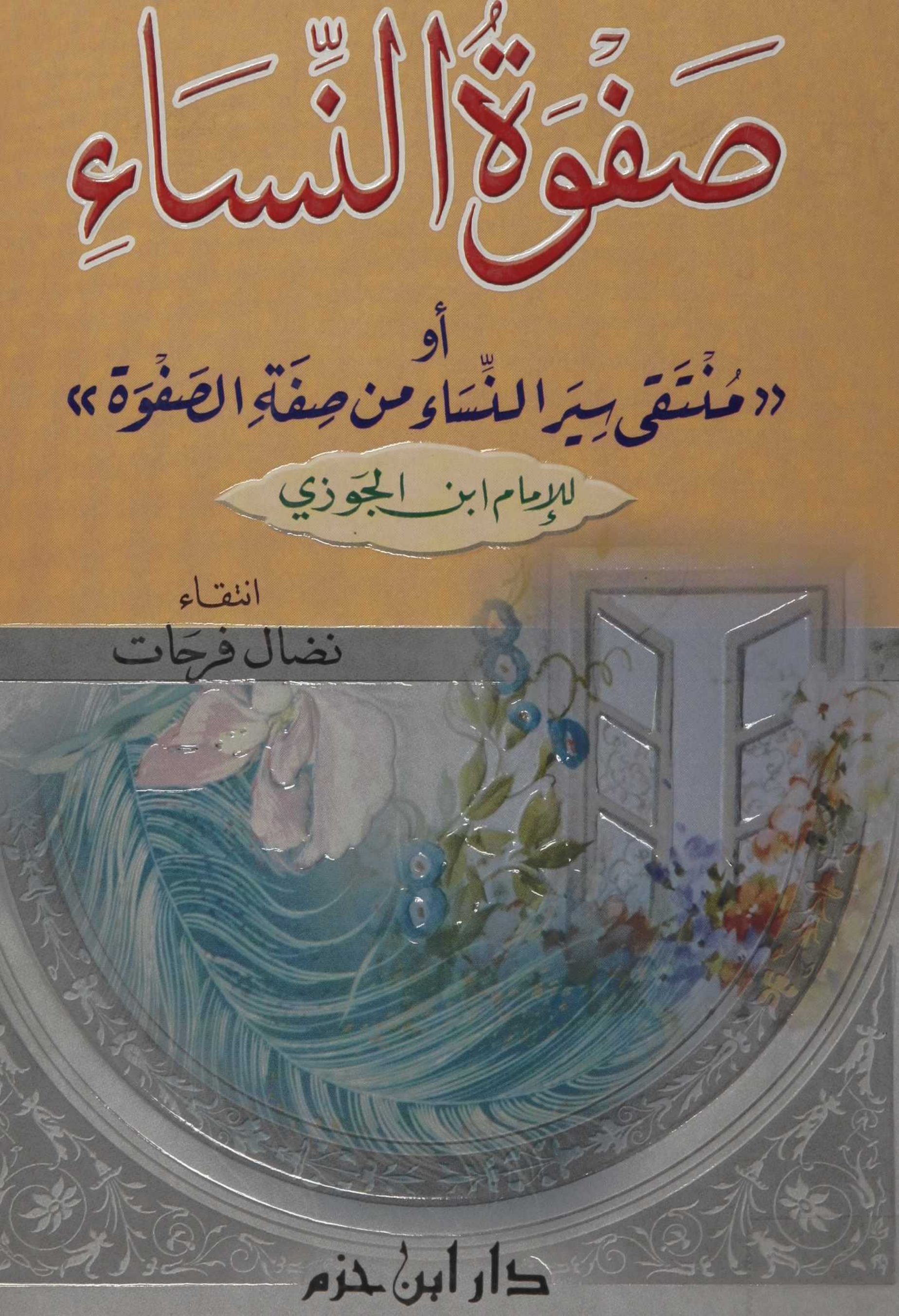
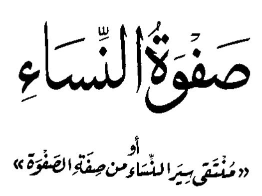
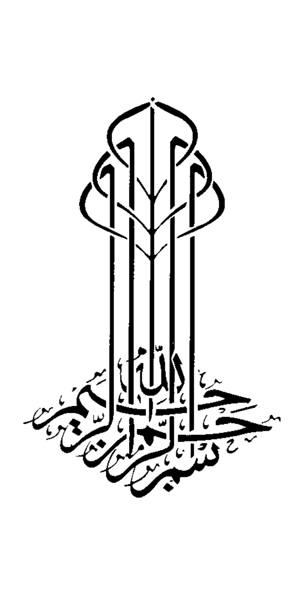

صفوة النساء
أو
«منتقى سير النساء من صفة الصفوة»
للإمام ابن الجوزي
انتقاء
نضال فرحات
دار ابن حزم


صَفوةُ النِّسَاءِ
أو
«مُنْتَقى سِيَرِ النِّسَاءِ من صِفَةِ الصَفْوَة»



صَفوَةُ النِّسَاءِ

أو

«مُنتَقى سِيَرِ النِّسَاءِ من صِفَةِ الصَفوَة»

للإمام ابن الجوزي

انتقاء

نضال فرحات

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-187-3

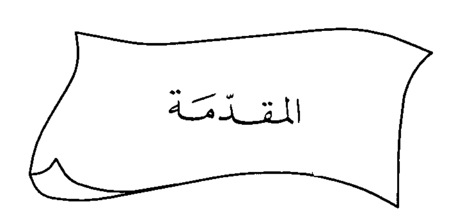
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb



الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على عباده المصطفين وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد جمع الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي في كتابه المشهور **«صفة الصفوة»** أخبار الزهاد والعباد، مفتتحاً بخاتم الأنبياء وسيد الأولياء محمد بن عبدالله ﷺ، ثم ذكر المشتهرين بالزهد والتعبد من الأصحاب والصحابيات، ثم التابعين والتابعات، ثم من أتى بعدهم من الرجال والنساء على طبقاتهم، مراعياً ذكر أهل كل بلد على حدة وفق نظام وضحه في مقدمة كتابه[١].

وقد جعل ابن الجوزي كتابه هذا على منوال كتاب أبي نعيم الأصبهاني «حلية الأولياء» غير أنه استدرك عليه وانتقضه بأمور عديدة منها: أن أبا نعيم لم يذكر في كتابه إلا عدداً قليلاً من النساء بالرغم من أن ذكر عابدات النساء مع ضعف الأنوثية يشكل حافزاً للمقصرين من الرجال...، فأكثر ابن الجوزي من ذكر النساء في كتابه حتى زاد عددهن على مئتين زيادة كثيرة، بينما لم يُذكر في «حلية الأولياء» أكثر من عشرين امرأة تقريباً؛ وهو عدد لا بأس به في هذا الباب خاصةً إذا علمت أن شرط ابن الجوزي في كتابه هذا أن يذكر من عُلم بالزهد والعبادة لا من عُرف بالعلم وحده أو غير ذلك من المميزات الغير مقترنة بالزهد والعبادة.

---

(١) انظر مقدمة ابن الجوزي في أول كتابنا هذا.

هذا المنتقى:

فلهذا ولقلة الكتب التي تناولت تراجم النساء بشكل عام ومن عرف بالزهد والعبادة منهنّ بشكل خاص، رأيت أن أفرد النسوة من كتاب «**صفة الصفوة**» بكتاب أسميته «**صفوة النساء**». وقد أبقيت على مقدمة ابن الجوزي كاملة لما فيها من الفوائد السنية والعبارات الزهية، إذ إن الرجل أديب كما لا يخفى على كل من قرأ مؤلفاته الممتعة ولو لمرة، عداك عن أنه مشهور بذلك...

عملي في الكتاب:

١ ـ انتقاء النساء اللاتي ذكرهن ابن الجوزي والإبقاء على ترتيبه لهن وفق نظامه الذي شرحه في المقدمة، ثم ترقيمهن بعد ذلك.

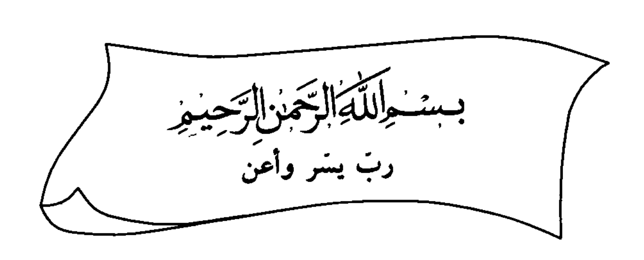
٢ ـ تخريج الأحاديث النبويَّة والحكم عليها غالباً وتخريج آثار الصحابة.

٣ ـ عزو الآثار والتراجم إلى مصادرها من كتب السير والتراجم والتاريخ مع الانتباه إلى أن العديد من القصص التي ذكرها المؤلف إنما نقلها عن شيوخه وليست مدونة في مرجع معلوم.

٤ ـ شرح الكثير من غريب الألفاظ.

وكتب
نضال فرحات
nedal_farhat@hotmail.com
غرة شعبان ١٤٢٥هـ ـ لبنان





قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة شمس الأعلام، لسان المتكلمين، أوحد العلماء العالمين، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمه الله: الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، حمداً إذا قابل النعم وفى، وسلاماً إذا بلغ المصطفين شفى، وخصّ الله بخاصة ذلك نبينا المصطفى، ومن احتذى حذوه من أصحابه وأتباعه واقتفى، وفقنا لسلوك طريقهم فإنه إذا وفّق كفى.

أما بعد: فإنك أيها الطالب الصادق، والمريد المحقق لمّا نظرت في كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني، أعجبك ذكر الصالحين والأخيار، ورأيته دواء لأدواء النفس، إلا أنك شكوت من إطالته بالأحاديث المسندة التي لا تليق به، وبكلام عن بعض المذكورين كثير؛ قليل الفائدة، وسألتني أن أختصره لك وأنتقي محاسنه، فقد أعجبني منك أنك أصبت في نظرك، إلا أنه لم يكشف لك كل الأمر، وأنا أكشفه لك فأقول:

اعلم أن كتاب «الحلية» قد حوى من الأحاديث والحكايات جملة حسنة إلا أنه تكدّر بأشياء وفاتته أشياء، فالأشياء التي تكدر بها عشرة:

الأول: أن هذا الكتاب إنما وضع لذكر أخبار الأخيار، وإنما يراد من ذكرهم شرح أحوالهم وأخلاقهم ليقتدي بها السالك، فقد ذكر فيه أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئاً من ذلك، ذكر عنهم ما يروونه عن غيرهم أو

ما يسندونه من الحديث، كما ملأ ترجمة هشام بن حسان بما يروى عن الحسن، وتلك الحكايات ينبغي أن تدخل في ترجمة الحسن لا في ترجمة هشام، وكذلك ملأ ترجمة جعفر بن سليمان بما يروى عن مالك بن دينار ونظرائه؛ ولم يذكر عنه شيئاً.

والثاني: أنه قصد ما ينقل عن الرجل المذكور، ولم ينظر هل يليق بالكتاب أم لا، مثل ما ملأ ترجمة مجاهد: بقطعة من تفسيره، وترجمة عكرمة: بقطعة من تفسيره، وترجمة كعب الأحبار: بقطعة من التوراة وليس هذا بموضع هذه الأشياء.

والثالث: أنه أعاد أخباراً كثيرة مثل ما ذكر في ترجمة الحسن البصري من كلامه، ثم أعاده في تراجم أصحابه الذين يروون كلامه، وذكر في ترجمة أبي سلمان الداراني من كلامه، وأعاده في ترجمة أحمد بن أبي الحواري بروايته عن أبي سليمان.

والرابع: أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها الشخص الواحد فينسى ما وضع له ذكر الرجل من بيان آدابه وأخلاقه، كما ذكر شعبة، وسفيان، ومالك، وعبدالرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، فإنه ذكر عن كل واحد من هؤلاء من الأحاديث التي يرويها مرفوعة جملة كثيرة، ومعلوم أن مثل كتابه الذي يقصد به مداواة القلوب إنما وضع لبيان أخلاق القوم لا الأحاديث، ولكل مقام مقال، ثم لو كانت الأحاديث التي ذكرها من أحاديث الزهد اللائقة بالكتاب لقرب الأمر، ولكنها من كل فن، وعمومها من أحاديث الأحكام والضعاف. أو لو كان اقتصر على الغريب من روايات المكثرين، أو رخم ما يرويه المقلون ـ كما روى عن الجنيد أنه لم يسند إلا حديثاً واحداً ـ لكان ذكر مثل هذا حسناً لكنه أمعن ـ فيما لا يتعلق ذكره ـ بالكتاب.

والخامس: أنه ذكر في كتابه أحاديث كثيرة باطلة وموضوعة، فقصد بذكرها تكثير حديثه وتنفيق رواياته، ولم يبين أنها موضوعة ومعلوم أن

جمهور المائلين إلى التبرر يخفى عليهم الصحيح من غيره، فستر ذلك عنهم غش من الطبيب لا نصح.

والسادس: السجع البارد في التراجم، الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح خصوصاً في ذكر حدود التصوف.

والسابع: إضافة التصوف إلى كبار السادات كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وشريح وسفيان وشعبة ومالك والشافعي وأحمد، وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف.

فإن قال قائل: إنما عنى به الزهد في الدنيا وهؤلاء زهاد، قلنا: التصوف مذهب معروف عند أصحابه لا يقتصر فيه على الزهد بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه، ولولا أنه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين ذمه، فإنه قد روى أبو نعيم في ترجمة الشافعي رحمة الله عليه أنه قال: «التصوف مبني على الكسل، ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا وهو أحمق». وقد ذكرت الكلام في التصوف ووسعت القول فيه في كتابي المسمى بـ: «تلبيس إبليس».

والثامن: أنه حكى في كتابه عن بعض المذكورين كلاماً أطال به لا طائل فيه، تارة لا يكون في ذلك الكلام معنى صحيح كجمهور ما ذكر عن الحارث المحاسبي، وأحمد بن عاصم، وتارة يكون ذلك الكلام غير اللائق بالكتاب، وهذا خلل في صناعة التصنيف، وإنما ينبغي للمصنف أن ينتقي فيتوقى ولا يكون كحاطب ليل، فالنطاف العذاب تروي لا البحر.

والتاسع: أنه ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها، فربما سمعها المبتدئ القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها، مثل ما روى عن أبي حمزة الصوفي أنه وقع في بئر فجاء رجلان فطماها، فلم ينطق حملاً لنفسه على التوكل بزعمه، وسكوت هذا الرجل في مثل هذا المقام إعانة على نفسه وذلك لا يحل، ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافي استغاثته في تلك الحال، كما لم يخرج رسول الله ﷺ من التوكل بإخفائه الخروج من مكة

واستئجاره دليلاً واستكتامه، واستكفائه ذلك الأمر واستتاره في الغار، وقوله لسراقة: «**أخف عنا**»[1].

فالتوكل الممدوح لا ينال بفعل محذور، وسكوت هذا الواقع في البئر محظور عليه، وبيان ذلك أن الله عزَّ وجلَّ قد خلق للآدمي آلة يدافع بها عن نفسه الضرر، وآله يجتلب بها النفع، فإذا عطلها مدّعياً للتوكل كان جهلاً بالتوكل ورداً لحكمة الواضع؛ لأن التوكل إنما هو اعتماد القلب على الله سبحانه، وليس من ضرورته قطع الأسباب، ولو أن إنساناً جاع فلم يأكل، أو احتاج فلم يسأل، أو عُري فلم يلبس، فمات دخل النار؛ لأنه قد دُلّ على طريق السلامة فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه.

وقد أخبرنا محمد بن عبدالباقي قال: أخبرنا محمد بن . . . قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله قال: حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، قال: حدثنا عبدالرحمن بن يونس الرقي قال: حدثنا مطرف بن مازن عن الثوري قال: «من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار».

قلت: ولا التفات إلى أبي حمزة في حكايته «فجاء أسد فأخرجني»، فإنه إن صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقاً، وقد يكون لطفاً من الله تعالى بالعبد الجاهل، ولا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به، إنما ينكر فعله الذي هو كسبه، وهو إعانته على نفسه التي هي وديعة الله تعالى عنده وقد أُمر بحفظها.

وكذلك روى عن الشبلي أنه كان إذا لبس ثوباً خرقه وكان يحرق. . . . والخبز والأطعمة التي ينتفع بها الناس بالنار، فلما سئل عن هذا احتج بقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: ٣٣]، وهذا في غاية

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٩٠٦) باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد قال النبي ﷺ ذلك عندما عرض سُراقة بن مالك أن يقدم لرسول الله ﷺ وأبي بكر الزاد والمتاع لمعونتهما في الهجرة: فلم يسأله شيئاً غير أنه قال له: «**أخفِ عنا**».

القبح؛ لأن سليمان عليه السلام نبي معصوم فلم يفعل إلا ما يجوز له، وقد قيل في التفسير: إنه مسح على نواصيها وسوقها وقال: أنت في سبيل الله، وإن قلنا إنه عقرها فقد أطعمها الناس، وأكل لحم الخيل جائز، فأما هذا الفعل الذي حكاه عن الشبلي فلا يجوز في شريعتنا فإن رسول الله ﷺ نهى عن إضاعة المال[1]، وحكى عنه لما مات ولده حلق لحيته وقال: قد جزت أمه شعرها على مفقود أفلا أحلق أنا لحيتي على موجود؟ إلى غير ذلك من الأشياء السخيفة الممنوع منها شرعاً.

والعاشر: أنه خلط في ترتيب القوم فقدّم من ينبغي أن يؤخر وأخّر من ينبغي أن يقدّم، فعل ذلك في الصحابة وفيمن بعدهم، فلا هو ذكرهم على ترتيب الفضائل، ولا على ترتيب المواليد، ولا جمع أهل كل بلد في مكان، وربما فعل هذا في وقت ثم عاد فخلط، خصوصاً في أواخر الكتاب فلا يكاد طالب الرجل يهتدي إلى موضعه ومن طالع كتاب هذا الرجل ممن له أنس بالنقل انكشف له ما أشرت إليه.

وأما الأشياء التي فاتته فأهمها ثلاثة أشياء:

أحدها: أنه لم يذكر سيد الزهاد وإمام الكل وقدوة الخلق وهو نبينا ﷺ فإنه المتبع طريقه المقتدي بحاله.

والثاني: أنه ترك ذكر خلق كثير قد نقل عنهم من التعبد والاجتهاد الكبير، ولا يجوز أن يحمل ذلك منه على أنه قصد المشتهرين بالذكر دون غيرهم، فإنه قد ذكر خلقاً لم يعرفوا بالزهد ولم ينقل عنهم شيء وربما ذكر الرجل فأسند عنه أبيات شعر فحسب، ففعله يدل على أنه أراد الاستقصاء، وتقصيره في ذلك ظاهر.

والثالث: أنه لم يذكر من عوابد النساء إلا عدداً قليلاً، ومعلوم أن

---

(١) أخرج البخاري: (٥٩٧٥) ومسلم: (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»**.

ذكر العابدات مع قصور الأنوثية، يوثب المقصر من الذكور، فقد كان سفيان الثوري ينتفع برابعة ويتأدب بكلامها.

وقد حداني جدّك أيها المريد، في طلب أخبار الصالحين وأحوالهم أن أجمع لك كتاباً يغنيك عنه، ويحصل لك المقصود منه، ويزيد عليه بذكر جماعة لم يذكرهم، وأخبار لم ينقلها، وجماعة ولدوا بعد وفاته، وينقص عنه بترك جماعة قد ذكرهم لم ينقل عنهم كبير شيء وحكايات قد ذكرها. فبعضها لا ينبغي التشاغل به، وبعضها لا يليق بالكتاب على ما سبق بيانه.

* * *

فصل

في بيان وضع كتابنا والكشف عن قاعدته

لما كان المقصود بوضع مثل هذا الكتاب ذكر أخبار العاملين بالعلم، الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، المستعدين للنقلة بتحقيق اليقظة والتزوّد الصالح، ذكرت من هذه حاله دون من اشتهر بمجرد العلم ولم يشتهر بالزهد والتعبد.

ولما سميت كتابي هذا «**صفة الصفوة**» رأيت أن أفتتحه بذكر نبينا محمد ﷺ، فإنه صفوة الخلق وقدوة العالم.

فإن قال قائل: فهلا ذكرت الأنبياء قبله فإنهم صفوة أيضاً؟

فالجواب: أن كتابنا هذا إنما وضع لمداواة القلوب وترقيقها وإصلاحها، وإنما نقل إلينا أخبار آحاد من الأنبياء ثم لم ينقل في أخبار أولئك الآحاد ما يناسب كتابنا إلا أن يذكر عن عباد بني إسرائيل ما حملوا على أنفسهم من التشديد، أو عن عيسى عليه السلام وأصحابه ما يقتضيه الترهبن، وذلك منقسم إلى ما تبعد صحته، وإلى ما نهى عنه في شرعنا، وقد ثبت أن نبينا ﷺ أفضل الأنبياء، وأن أمّته خير الأمم، وأن شريعته حاكمة على جميع الشرائع، فلذلك اقتصرنا على ذكره وذكر أمته.

في بيان ترتيب كتابنا

أنا أبتدئ بتوفيق الله سبحانه ومعونته فأذكر باباً في فضل الأولياء والصالحين، ثم أردفه بذكر نبينا محمد ﷺ وشرح أحواله وآدابه وما يتعلق به، ثم أذكر المشتهرين من أصحابه بالعلم المقترن بالزهد والتعبد، وآتي بهم على طبقاتهم في الفضل، ثم أذكر المصطفيات من الصحابيات على ذلك القانون، ثم أذكر التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم.

وقد طفت الأرض بفكري شرقاً وغرباً، واستخرجت كل من يصلح ذكره في هذا الكتاب من جميع البقاع. ورب بلدة عظيمة لم أر فيها من يصلح لكتابنا. وقد حصرت أهل كل بلدة فيها وترتيبهم على طبقاتهم: أبدأ بمن يعرف اسمه من الرجال، ثم أذكر بعد ذلك من لم يعرف اسمه، فإذا انتهى ذكرت عابدات ذلك البلد على ذلك القانون، وربما كان في أهل البلد من عقلاء المجانين من يصلح ذكره من الرجال والنساء فأذكره.

وإنما ضبطت هذا الترتيب تسهيلاً للطلب على الطالب، ولما لم يكن بدّ من مركز يكون كنقطة للدائرة رأيت أن مركزنا وهو بغداد أولى من غيره، إلا أنه لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما، بدأت بالمدينة لأنها دار الهجرة، ثم ثنيت بمكة ثم ذكرت الطائف لقربها من مكة ثم اليمن وعدت إلى مركزنا بغداد فذكرت المصطفين منها ثم انحدرت إلى المدائن، ونزلت إلى واسط، ثم إلى البصرة، ثم إلى الأبلّة، ثم عبّادان، ثم تستر، ثم شيراز، ثم كرمان، ثم أرجان، ثم سجستان، ثم ديبل، ثم البحرين، ثم اليمامة، ثم الدينور، ثم همذان، ثم قزوين، ثم أصبهان، ثم الري، ثم دامغان، ثم بسطام، ثم نيسابور، ثم طوس، ثم هراة، ثم مرو، ثم بلخ، ثم ترمذ، ثم بخارى، ثم فرغانة، ثم نخشب.

ثم ذكرت عباد المشرق المجهولين البلاد والأسماء، فلما انتهى ذكر أهل المشرق عدنا إلى مركزنا وارتقينا منه إلى المغرب، وقد ذكرنا أهل

عكبرا، ثم الموصل، ثم البرقة، ثم طبقات أهل الشام ثم المقدسيين، ثم أهل جبلة، ثم أهل العواصم والثغور، ثم من لم يعرف بلده من عباد أهل الشام، ثم عسقلان، ثم مصر، ثم الإسكندرية، ثم المغرب، ثم عباد الجبال، ثم عباد الجزائر، ثم عباد السواحل، ثم أهل البوادي والفلوات، ثم من لم نعرف له مستقراً من العباد وإنما لقي في طريق: فمنهم من لقي في طريق مكة، ومنهم من لقي بعرفة، ومنهم من لقي في الطواف، ومنهم من لقي في غزاة، ومنهم من لقي في طريق سفر أو طريق سياحة.

ثم ذكرت من لم يعرف له اسم ولا مكان من العباد. ثم ذكرت طرفاً من أخبار بنيات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار، ثم ذكرت طرفاً من أخبار عباد الجن فختمت بذلك الكتاب، والله الموفق.

وإنما أنقل عن القوم محاسن ما نقل مما يليق بهذا الكتاب ولا أنقل كُلَّ ما نقل، إذْ لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسن الاختيار، وكما أني لا أذكر ما لا يصلح أن يقتدى به ممن هو في صورة العلماء والزهاد. وقد تجوزت بذكر جماعة من المتصوفة وردت عنهم كلمات منكرة وكلمات حسان، فانتخبت من محاسن أقوالهم لأن الحكمة ضالة المؤمن، ومع تنقينا وتوقينا وحذف من لا يصلح وما لا يصلح، فقد زاد عدد من في كتابنا على ألف شخص: يزيد الرجال على ثمانمائة زيادة بينة، وتزيد النساء على مائتين زيادة كثيرة. ولم يبلغ عدد رجال «الحلية» الذين ذكرت أحوالهم في تراجمهم ستمائة، بل قد ذكر جماعة لم يذكر لهم شيئاً ولا أظنه ذكر في جميع الكتاب عشرين امرأة.

وإلى الله سبحانه أرغب في النفع بكلمات المتقين، واللحوق بدرجات أهل اليقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



باب ذكر فضل الأولياء والصالحين

الأولياء والصالحون هم المقصود من الكون[1]، وهم الذين علموا فعملوا بحقيقة العلم.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بأفضل من أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[2] رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن ربه عزَّ وجلَّ قال: «**من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ما ترددت في قبض نفس مؤمن أكره مساءته ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين من يريد باباً من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ذلك، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي**

(١) قول المؤلف رحمه الله: «... هم المقصود من هذا الكون» لا ينبغي أن يُفهم منه أن الكون خلق خصيصاً لهم أو لأحدٍ من الصالحين كما يقول بعض الغلاة، ولكن قد يكون قصد المؤلف أن الله خلق الكون لعبادته وهم أفضل من قاموا بالعبادة، فلذلك قال المؤلف هذه الجملة.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٥٠٢).

يتنفل حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً، دعاني فأجبته، وسألني فأعطيته، ونصح لي فنصحت له. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، وإن بسطت حاله أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك. إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير»[1]. ورواه عبدالكريم الجزري عن أنس مختصراً وقال فيه: «**إني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، إني لأغضب لهم أشد من غضب الليث الحرب**»[2].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»[3].

وعن عطاء بن يسار: «قال موسى عليه السلام: يا رب من أهلك الذين هم أهلك، الذين تظلهم في عرشك؟ قال: هم البريئة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذكرت ذكروا وإذا ذكروا ذكرت بذكرهم، الذين يسبغون الوضوء في المكاره، ينيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى وكورها، ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ويغضبون لمحارمي إذا استحلت كما يغضب النمر إذا حرب».

وعن وهب بن منبه قال: «لما بعث الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال: لا تعجبنكما زينته ولا ما متع به، ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا

---

(١) أورده ابن الجوزي في ـ كتابه الآخر ـ العلل المتناهية (٢٧) وقال: «هذا حديث لا يصح أما الطريق الأول ففيه يحيى بن عيسى الرملي، قال يحيى: ما هو بشيء، وقال ابن حبان: ساء حفظه فكثر وهمه فبطل الاحتجاج به، وأما الطريق الثاني ففيه الخشني، قال يحيى بن معين ليس بشيء، قال الدارقطني: متروك..».

(٢) انظر الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي: (٤٤٤٣).

(٣) أخرجه البخاري: (٤٥٠٠)، ومسلم: (١٦٧٥) عن أنس بن مالك.

بزينة، ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما، لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديماً خرت لهم فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة، وإني لأجنبهم سلوتها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العُرة وما ذاك لهوانهم عليَّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا، ولم يطغه الهوى.

واعلم أنه لم يتزين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك هم أوليائي حقاً حقاً فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وباراني، وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي؟ أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني؟ أو يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؟ وكيف، وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أكل نصرتهم إلى غيري».

وعنه قال: «قال الحواريون يا عيسى: من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال عيسى عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً فما عارضهم من نائلها رفضوه، أو من رفعتها بغير الحق وضعوه. خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها وكانوا برفضها فرحين، وباعوها ببيعها رابحين، نظروا إلى أهلها صرعى قد حلّت بهم المثلات، فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله ويحبون ذكره

ويستضيئون بنوره لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب: بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، فليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون» رواه الإمام أحمد[1].

وعن كعب قال: «لم يزل في الأرض بعد نوح عليه السلام أربعة عشر يدفع بهم العذاب» رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عيينة قال: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة[2]. قال محمد بن يونس: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين.



(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد: (١/٦١).

(٢) قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء: «ليس له أصل في المرفوع، وإنما هو من قول سفيان بن عيينة» انظر كشف الخفاء: (١٧٧٢).

وهو وإن لم يكن حديثاً ثابتاً عن النبي ﷺ إلا أن معناه غير منكر.

ذكر المصطفيات
من طبقات الصحابيات رضي الله عنهن



١ ـ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي رضي اللّه عنها[١]

خرج رسول الله ﷺ لها في تجارة فرأت عند قدومه غمامة تظله فتزوجته. وقد كانت عرفت قبله زوجين، وكانت يوم تزوجها بنت أربعين سنة. وجاءت النبوّة فأسلمت فهي أول امرأة آمنت به ولم ينكح امرأة غيرها حتى ماتت. وجميع أولاده منها سوى إبراهيم.

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة عليها السلام**». أخرجاه في الصحيحين[٢].

عن أبي هريرة قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: **يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام[٣] أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ**

---

(١) انظر في سيرة السيدة خديجة رضي الله عنها: الطبقات الكبرى لابن سعد: (٨/١٥)، أسد الغابة لابن الأثير: (٥/٤٥٢)، حياة الصحابة للكاندهلوي: (٢/٦٥٢)، البداية والنهاية: (٢/١٢٥) لابن كثير.

(٢) أخرجه البخاري: (٣٤٣٢)، ومسلم: (٢٤٣٠).

(٣) الإدام: ما يؤكل مع الخبز من الطعام، كالزيت ونحوه.

عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب[1] **فيه ولا نصب**[2]». أخرجاه في الصحيحين[3].

وعن عائشة قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول: «**إنها كانت وكان لي منها ولد**». أخرجاه في الصحيحين[4].

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب. ثم قال: «**لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزَّ وجلَّ أولادها إذ حرمني أولاد النساء**». قالت: فقلت بيني وبين نفسي: لا أذكرها بسوء أبداً[5].

توفيت خديجة رضي الله عنها بعد أن مضى من النبوّة عشر سنين، وهي بنت خمس وستين سنة. قال حكيم بن حزام: دفناها بالحجون[6] ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها ولم يكن يومئذٍ سنة الجنازة الصلاة عليها، رضي الله عنها.

* * *

---

(١) الصخب: الصوت المرتفع.

(٢) النصب: التعب.

(٣) أخرجه البخاري: (٣٨٢١) ومسلم: (٢٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري: (٣٨١٨) ومسلم: (٢٤٣٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد: (٢٤٣٤٣) بلفظ قريب، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وإسناد حسن» (مجمع الزوائد: ٩/٢٢٤).

(٦) الحجون موضع بمكة.



٢ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ[١]

أمها خديجة بنت خويلد، ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بناته، تزوجها علي عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة. وقيل: تزوجها في رجب، وقيل: في صفر على بدن من حديد، فولدت له: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. فتزوج زينب عبدالله بن جعفر، فولدت له عبدالله وعوناً وماتت عنده. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً. ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبدالله بن جعفر فلم تلد له شيئاً. ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ثم خلف عليها بعده عبدالله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده.

وزاد ابن إسحاق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً. وزاد الليث بن سعد: رقية قال: وماتت ولم تبلغ.

عن عامر الشعبي قال: قال علي عليه السلام: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش، غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي خادم غيرها[٢].

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم[٣] حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين. فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله سنوت[٤] حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت[٥] يداي.

---

(١) انظر للاستزادة من سيرة سيدة نساء هذه الأمة: الإصابة: (٨/٣٣٥)، الاستيعاب: (٤/٣٦٢)، سير أعلام النبلاء: (٢/١١٨)، حياة الصحابة: (٢/٣٤٧).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: (٨/٢٢) والناضح هو البعير.

(٣) الأدم: الجلد المدبوغ.

(٤) سنوت: المقصود هو سقاية النخل.

(٥) مجلت: تورمت.

فأتت النبي ﷺ فقال: «**ما جاء بك وما حاجتك أي بنية؟**» قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله فرجعت. فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله. فأتياه جميعاً فقال علي: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري. وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله عزَّ وجلَّ بسبي وسعة فأخدمنا. فقال: «**والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**». فرجعا وأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما فثارا فقال: «**مكانكما**». ثم قال: «**ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**» قالا: بلى. قال: «**كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان في دبر**[1] **كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين**». قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ. قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ قال: قاتلكم الله يا أهل العراق نعم ولا ليلة صفين[2].

وعن أبي ليلى قال: حدثني علي عليه السلام أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى من يدها في الرحى. وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة. قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال: «**على مكانكما**» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال: «**ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**» أخرجاه في الصحيحين[3].

---

(١) دبر كل صلاة: آخر كل صلاة.

(٢) الحديث بهذا اللفظ رواه أحمد: (٨٤٠)، وابن سعد في الطبقات: (٨/٢٥) وأصله في الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري: (٣١١٣)، ومسلم: (٢٧٢٧)، وأبو داود: (٥٠٦٢) والدارمي: (٢٦٨٥) وغيرهم.

وعن عائشة قالت: أقبلت فاطمة عليها السلام كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: «**مرحباً بابنتي**». ثم أجلسها على يمينه أو عن شماله. ثم إنه أسرّ إليها حديثاً فبكت. فقلت لها: اختصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين؟ ثم إنه أسرّ إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ .

فلما قبض ﷺ سألتها فقالت: إنه أسرّ إليَّ فقال: «**إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وإنه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك**» فبكيت لذلك. ثم قال: «**ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأُمَة أو سيدة نساء المؤمنين**» قالت: فضحكت لذلك. أخرجاه في الصحيحين. وليس لفاطمة عليها السلام في الصحيحين غير هذا الحديث[1] .

وعن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**»[2]. أخرجه مسلم أيضاً في صحيحه. وعنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر: «**إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم بعلي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنها بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما أذاها**». أخرجاه في الصحيحين[3]

وهذه المرأة المذكورة في هذا الحديث جويرية بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة كان علي عليه السلام قد خطبها فجاء بنو هشام يستأمرون رسول الله ﷺ في ذلك فلم يأذن لهم أن يزوجوه. وأسلمت جويرية وبايعت

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٦٢٣)، ومسلم: (٢٤٥٠).

(٢) هذا اللفظ أخرجه البخاري: (٣٧١٤) و(٣٧٦٧)، وانظر الحديث الذي بعده.

(٣) أخرجه البخاري: (٥٢٣٠) ومسلم: (٢٤٤٩)، وأبو داود: (٢٠٧١)، وابن ماجه: (١٩٩٨)، وأحمد: (١٨٤٤٧).

وتزوجها عتاب بن أسيد. ثم تزوجها أبان بن سعيد بن العاصي.

وعن ابن أعبد قال: قال علي عليه السلام: يا ابن أعبد ألا أخبرك عني وعن فاطمة؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي جرت بالرحى حتى أثرت الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها وأصابها من ذلك ضر.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: إن كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لتعجن وإن قصتها لتضرب الأرض والجفنة.

توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة ونصف، وغسلها علي عليه السلام وصلى عليها. وقالت عمرة: صلى عليها العباس بن عبدالمطلب ودفنت ليلاً.

وعن عائشة قالت: عاشت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، رضي الله عنها(١).

وعن أبي جعفر قال: ماتت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. قيل لسفيان: عمرو عن أبي جعفر؟ قال: نعم.

عن عمرو بن دينار قال: توفيت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر.

عن الزهري: ماتت بعد النبي ﷺ بثلاثة أشهر، يعني فاطمة عليها السلام.

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير: (٢٢/٣٩٢) من حديث أم المؤمنين عائشة قالت: «توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ودفنها علي بن أبي طالب ليلاً» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢١١): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

عن عائشة قالت: كان بين النبي ﷺ وبين فاطمة شهران.

عن أبي الزبير قال: لم تمكث بعده إلا شهرين. والأول أصح.

❋ ❋ ❋



٣ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

كانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: دعني حتى أسلها من جبير سلاً رفيقاً[١]، فتزوجها رسول الله ﷺ بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين. وبقيت عنده تسع سنين ولم يتزوج بكراً غيرها. وعن عباد بن حمزة عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، ألا تكنيني؟ قال: «**تكني بابنك**»، يعني: عبدالله بن الزبير. فكانت تكنى أم عبدالله[٢].

وعن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أريتك في المنام مرتين ورجل يحملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك. فأقول: إن كان هذا من عند الله عزَّ وجلَّ يمضه**». أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين. فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري فوفي جميمه فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني؟ فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٨/٥٨).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٩/٣١٠).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٨٩٥)، ومسلم: (٢٤٣٨).

ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر. فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين. أخرجاه في الصحيحين[١].

وعن عمرو بن العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال: أيُّ الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «**عائشة**». قال من الرجال؟ قال: «**أبوها**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم عمر**» أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون: وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد[٣] على سائر الطعام**». أخرجاه في الصحيحين[٤].

عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن جبريل عليه السلام يقرأ عليك السلام**» قلت: وعليه السلام ورحمة الله. أخرجاه في الصحيحين[٥].

وعن أبي سلمة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إذ نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها، في أيهما كنت ترتع بعيرك؟ قال: «**في التي لم يؤكل منها**». تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها انفرد بإخراجه البخاري[٦].

وعن الزهري قال: أخبرني محمد بن عبدالرحمن بن هشام أن عائشة زوجة النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٨٩٤)، ومسلم: (١٤٢٢) والنسائي: (٣٢٥٨)، وأبو داود: (٤٩٣٣) وابن ماجه: (١٨٧٦)، والدارمي: (٢٢٦١).
(٢) أخرجه البخاري: (٣٦٦٢) ومسلم: (٢٣٨٤).
(٣) الثريد: هو الطعام المتخذ من اللحم.
(٤) أخرجه البخاري: (٣٧٦٩) ومسلم: (٢٤٣١).
(٥) أخرجه البخاري: (٣٧٦٨) ومسلم: (٢٤٤٧) والترمذي: (٢٦٩٣) والنسائي: (٣٩٥٣) وأبو داود: (٥٢٣٢) وابن ماجه: (٣٦٩٦) وأحمد: (٢٤٦٤٧).
(٦) أخرجه البخاري: (٥٠٧٧).

فاستأذنت والنبي ﷺ مع عائشة في مِرطها[1]، فأذن لها فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. فقال النبي ﷺ: «**أي بنية ألست تحبين ما أحب؟**» فقالت: بلى. قال: «**فأحبي هذه**»، لعائشة. قالت: فقامت فاطمة عليها السلام فخرجت فجاءت أزواج النبي ﷺ فحدثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن: ما أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى النبي ﷺ، فقالت فاطمة عليها السلام: والله لا أكلمه فيها أبداً. فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش فاستأذنت فأذن لها فدخلت فقالت: يا رسول الله، أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت عائشة ووقعت فيَّ زينب. قالت عائشة: فطفقت أنظر إلى النبي متى يأذن لي فيها. فلم أزل حتى عرفت أن النبي ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت: فوقعت بزينب فلم أنشبها أن أفحمتها. فتبسم النبي ﷺ ثم قال: «**إنها ابنة أبي بكر**»[2][3].

وعن عروة عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: «**أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟**» يريد يوم عائشة. فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها.

قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور فيه نوبتي، فقبضه الله عزَّ وجلَّ وإن رأسه بين نحري وسحري[4]، وخالط ريقه ريقي. أخرجاه في الصحيحين[5].

وعنه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة. قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى بيت أم سلمة فقالوا: يا أم سلمة، والله إن الناس

---

(١) المرط: هو كساء كبير.

(٢) أخرجه البخاري: (٢٥٨١) ومسلم: (٢٤٤٢) بلفظ قريب.

(٣) حاشا للنبي ﷺ أن يُفضِّل عائشة رضي الله عنها على بقية أزواجه لهوى في نفسه، ولكن تقديمه إياها هو بأمر الله تعالى. وسر الأمر أن أبا بكر ـ وهو الذي كان أمن الناس على رسول الله بنصرته له بماله ونفسه ـ كان أبو عائشة، فلذلك كان النبي ﷺ يُقدم ابنته، لمكانة أبيها في الإسلام وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «**إنها ابنة أبي بكر**».

(٤) أي أنه ﷺ مات وهو مستند إلى صدرها.

(٥) أخرجه البخاري: (٥٢١٧) ومسلم: (٢٤٤٣).

يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني فلما عاد إليَّ ذكرت له ذاك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له ذلك، فقال: «**يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها**»[1].

وعنه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل فجاء جبريل عليه السلام فقال: «**أوَقَد وضعتم السلاح؟ ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهد إلى بني قريظة.** فقالت عائشة: كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه الغبار»[2].

وعن أبي سلمة قال: قالت عائشة: رأيت النبي ﷺ واضعاً يديه على معرفة[3] فرس دحية الكلبي وهو يكلمه قالت: فقلت: يا رسول الله، رأيتك واضعاً يدك على معرفة فرس دحية الكلبي وأنت تكلمه. قال: «**أورأيته؟**» قلت: نعم. قال: «**ذاك جبريل وهو يقرئك السلام**». قالت: وعليه السلام جزاه الله من صاحب ودخيل خيراً فنعم الصاحب ونعم الدخيل.

قال سفيان: الدخيل: الضيف[4].

وعن القاسم عن عائشة قالت: وثب رسول الله ﷺ وثبة شديدة فنظرت فإذا رجل معه واقف على برذون وعليه عمامة بيضاء طرفها بين كتفيه، ورسول الله ﷺ واضع يده على معرفة برذونه. فقلت: يا رسول الله، لقد راعتني وثبتك، من هذا؟ قال: «**أرأيته؟**» قلت نعم. قال: «**ومن رأيت؟**» قلت: دحية بن خليفة الكلبي، قال: «**ذلك جبريل عليه السلام**»[5].

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري: (٢٥٨١) والترمذي: (٣٨٧٩) والنسائي: (٣٩٤٩) وأحمد: (٢٥٩٧٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٨١٣) ومسلم: (١٧٦٩) وغيرهما.

(٣) معرفة: غرَّة.

(٤) أخرجه أحمد: (٢٤٦٠٧) وحسنه الألباني بشواهده في الصحيحة: (٣/١٠٥).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٨/٦٨) وانظر الحديث الذي قبله.

حديث الإفك[1]

عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوجة النبي ﷺ ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله عزَّ وجلَّ. وكلهم حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً[2]. وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضاً.

ذكروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع[3] بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا. حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل[4] ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش،

---

(١) الإفك: الكذب، وحادثة الإفك هي الحادثة المشهورة التي رميت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها واتُّهِمَت ظلماً وعدواناً فبرأها الله تعالى.
وكان عبدالله ابن أبي سلول رأس المتكلمين بالإفك، وكان من دوافعه إلى ذلك حبه للزعامة والرياسة على أهل المدينة وكثرة الأتباع... وقد قال الفضيل رحمه الله: «ما أحبَّ أحدٌ الرياسة إلا أحبّ أن ينتقص الناس ليتميز هو بالكمال...» انظر (جامع بيان العلم: ٢٢٩).
وانظر في قصة الإفك تفسير ابن كثير [الآيات: ١١-٢٢] من سورة النور، وكذا تفسير ابن جرير وزاد المعاد لابن القيم: (٣/٢٢٢)، وانظر في السيرة الإجمالية للسيدة عائشة الطبقات: (٨/٥٨) والإصابة: (٨/٣٤٩) وسير أعلام النبلاء: (٢/١٧٨) وأسد الغابة: (٥/٥٠٤).

(٢) اقتصاصاً: أي تتبعاً.

(٣) أقرع: أي أجرى القرعة.

(٤) قفل: أي رجع.

فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار[١] قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه[٢] وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بهودجي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهنّ[٣] اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه فرفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش. فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه[٤]، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليَّ. فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش وأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليَّ فاستيقظت باسترجاعه[٥] حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة[٦] فهلك من هلك في شأني.

وكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي بن سلول[٧]. فقدمت المدينة فاشتكيت[٨] حين قدمتها شهراً والناس يفيضون في قول أهل

---

(١) عقد من نوع الخرز يؤتى به من اليمن.

(٢) ابتغاؤه: طلبه.

(٣) أي لَسْن ببدينين.

(٤) أي قصدت مكانها الذي كانت فيه وبقيت هناك.

(٥) استرجاعه: أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٦) نحر الظهيرة: أي وقت اشتداد الحر.

(٧) هو عبدالله بن أبي بن سلول: ورأس المتكلمين بالإفك، وكان قد أذاع الإفك بعد أن رأى صفوان بن المعطل يقود ناقة عائشة رضي الله عنها، فوجد الخبيث متنفساً من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يشيع الإفك ويشعله ويستوشيه ويذيعه بين الناس وخاصة ضعفاء العقول من أتباعه، الذين غرّهم مركزه وماله فباعوا له أنفسهم.

(٨) فاشتكيت: أي مرضت.

الإفك[1] ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني[2] في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعد ما نقهت[3] وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع[4] وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف[5] قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه[6]. وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصدِّيق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت، تسبين رجلاً قد شهد بدراً؟ فقالت: أي هنتاه[7] أوَ لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما ذاك؟، قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فسلم ثم قال: «**كيف تيكم؟**» قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ فقالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط حظية عند زوجها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها القول. قالت: قلت أي سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا؟

---

(١) يفيضون في قول أهل الإفك: أي يتحدثون بالكذب والافتراء والبهتان.

(٢) يريبني: أي يجعلني أشك.

(٣) نقهت: أي برئت.

(٤) المناصع: موضع كانوا يخرجون إليه لقضاء حوائجهم.

(٥) الكنف: المكان المتخذ لقضاء الحاجة.

(٦) التنزه: الذهاب بعيداً عن البيوت لقضاء الحاجة.

(٧) يا هنتاه: أي يا هذه.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا ترقأ لي دمعة[1] ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكي.

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث[2] الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود. فقال: يا رسول الله، هم أهلك ولا أعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: لن يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «**أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟**» قالت له بريرة: لا والذي بعثك بالحق نبياً إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.

قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبدالله بن أبي بن سلول، فقال وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي**».

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فقبلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ: لعمرك والله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت، والله لنقتلنه. فإنك منافق، تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

---

(١) لا ترقأ لي دمعة: أي لا ينقطع دمعها.

(٢) استلبث الوحي: أي تأخر.

قالت عائشة رضي الله عنها: وبكيت يومي ذلك لا ترقأ لي دمعة، ولا أكتحل بنوم. ثم بكيت ليلتي المقبلة لا ترقأ لي دمعة ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي. فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ، فسلم ثم جلس عندي، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحي إليه في شأني شيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «**أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله عزَّ وجلَّ، وإن كنت هممت أو لممت بذنب فاستغفري الله عزَّ وجلَّ وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه**».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي[1] حتى ما أحس منه قطرة. فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقالت عائشة: ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ بلى إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله عزَّ وجلَّ يعلم أني بريئة لا تصدقوني وإن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة تصدقوني، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذٍ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى وشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عزَّ وجلَّ فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله عزَّ وجلَّ بها. فقالت: فوالله ما رام[2] رسول الله ﷺ مجلسه ولا

---

(١) قلص دمعي: أي توقف.

(٢) ما رام: أي ما فارق.

خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه كان ليتحدر منه مثل الجمان[1] من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت: فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «**أبشري يا عائشة أما إن الله تعالى قد برأك**». فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى وهو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، عشر آيات [النور: ١١-٢٠]، فأنزل الله تعالى في هذه الآيات براءتي.

فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره - فقال: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً إن شاء الله تعالى بعد الذي قال في عائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر الصدِّيق: إني لأحب أن يغفر الله عزَّ وجلَّ لي. فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال: لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: فكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري ما علمت، أو ما رأيت، أو ما بلغك؟ قالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني[2] من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى عني بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط. أخرجاه في الصحيحين[3][4].

---

(١) الجمان: اللؤلؤ.

(٢) تساميني: أي تماثلني في المنزلة والمكانة.

(٣) أخرجه البخاري: (٢٦٦١) ومسلم: (٢٧٧٠) وغيرهما.

(٤) لم تزد حادثة الإفك السيدة عائشة إلا عزاً وشرفاً، ولم يزدها كذب المفترين إلا أجراً وثواباً، فالله سبحانه يُخرج النفع مما قُصِدَ به الضر، وقد كان من فوائد هذه الحادثة=

ذكر نبذة من كرمها وزهدها رضي الله عنها:

عن عطاء قال: بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوم مائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذٍ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية، هلمي فطري. فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنفيني لو كنت ذكرتيني لفعلت[1].

وعن عروة قال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها.

ذكر نبذة من خوفها من الله تعالى:

عن عوف بن مالك بن الطفيل أن عائشة رضي الله عنها حدثت أن عبدالله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين أو لأحجرن عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت: والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنث إلى نذري أبداً، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلّم المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة بن كلاب وقال لهما: أنشدكما الله إلا ما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبدالرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم

= أن كُشفت حقائق بعض أفراد المجتمع المدني ـ آنذاك ـ وما يخفونه ويكيدونه بالفئة المُهاجرة المستضعفة التي لم تتابعهم على ما هم عليه من تقديم لأهوائهم الشخصية ومحبتهم للمظاهر والسلطة والأصنام والجاه، وكان من فوائدها أيضاً التربية والإرشاد للتصرف السليم عند وقوع حوادث مماثلة في المجتمع من غيبة ونميمة وبهتان... إلى غير ذلك من فوائد وآثار لا يتسع المقام لحصرها.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٦٧٤٥) وهناد بن السري في كتاب الزهد: (٦١٩).

ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يقبل رأسها ويبكي. وطفق المسور وعبدالرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان لها: إن النبي ﷺ نهى عما قد عملت من الهجرة فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام أو ليال. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول لهما: إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل بدموعها خمارها. انفرد بإخراجه البخاري(١).

ذكر تعبدها واجتهادها رضي الله عنها:

عن عروة عن أبيه: أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم(٢).

وعن القاسم: أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر(٣).

وعنه قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها. فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور: ٢٧]. وتدعو وتبكي وترددها. فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي.

ذكر طرف من مواعظها وكلامها:

عن عامر قال: كتبت عائشة إلى معاوية: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عزَّ وجلَّ عاد حامده من الناس ذاماً.

وعن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن كثرة الذنوب.

---

(١) أخرجه البخاري: (٦٠٧٥) ومعنى أتحنث أي أترك الوفاء بالنذر.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات: (٨/٧٥) والفريابي في كتاب الصيام: (صفحة١٠٠) وقال: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى: (٤/٣٠١) وهو في سير أعلام النبلاء: (٨/١٨٦).

ذكر غزارة علمها رضي الله عنها:

عن أبي موسى الأشعري قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً[1].

وعن مسروق قال: نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض[2].

وعن عروة عن أبيه قال: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها.

وعن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: يا أمتا لا أعجب من فقهك، أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب. أقول ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، لكن أعجب من علمك بالطب. قال: فضربت على منكبه وقالت: أي عروة إن رسول الله ﷺ كان بسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثم[3].

وعن سفيان بن عيينة قال: قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر[4].

ذكر فصاحتها رضي الله عنها:

عن هشام بن عروة، لا أدري ذكره عن أبيه أم لا ـ الشك من أبي يعقوب ـ قال: بلغ عائشة رضي الله عنها أن أقواماً يتناولون من أبي بكر رضي الله عنه فأرسلت إلى أزفلة منهم. فلما حضروا سدلت أستارها ثم دنت فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه محمد ﷺ وعذلت وقرعت. ثم قالت:

---

(١) أخرجه الترمذي: (٣٨٨٣) بإسناد رجاله ثقات وحسنه الذهبي في السير: (٢/١٧٩).

(٢) أخرجه الدارمي: (٢٨٥٩) والحاكم: (٦٧٣٦) وصححه الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء: (٢/١٨٣).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: (٢٣/١٨٤) والهيثمي في مجمع الزوائد: (٩/٢٤٣) وقال: رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات.

أبي وما أبيه؟ أبي والله لا تعطوه الأيدي، ذاك طود منيف وفرع مديد، هيهات! كذبت الظنون أنجح إذا أكديتم وسبق إذ ونيتم. سبق الجواد إذا استولى على الأمد. فتى قريش ناشئاً وكهفها كهلاً، يفك عانيها، ويريش مملقها ويرأب شعبها حتى حليته قلوبها، ثم استشرى في الله تعالى فما برحت شكيمته في ذات الله تعالى حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيي فيه ما أمات المبطلون، وكان رحمه الله غزير الدمعة وقيذ الجوارح شجي النشيج فانقصفت إليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [البقرة: ١٥] فأكبرت ذلك رجالات قريش فحنت له قسيها، وفوقت له سهامها وانتثلوه غرضاً فما فلوا له صفاة ولا قصفوا له قناة ومر على سيسائه حتى إذا ضرب الدين بجرانه ألقى بركه ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجاً، ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتاً. اختار الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ ما عنده، فلما قبض ﷺ نصب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله وظن رجال أن قد تحققت أطماعهم، ولات حين مناص، وأبي الصديق بين أظهرهم، فقام حاسراً مشمراً، فجمع حاشيته ورفع قطريه فرد نشر الإسلام على غربه، ولمّ شعثه بطيه وأقام أوده بثقافه، فاندفر النفاق بوطأته وانتاش الدين فنعشه، فلما أراح الحق إلى أهله وقرر الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء في أهبها، أتته ميتته فسد ثلمته بنظيره في المرحمة وشقيقه في السيرة والمعدلة. ذاك عمر بن الخطاب، لله أم حملت به ودرت عليه لقد أوحدت به ففنخ الكفرة وديخها، وشرد الشرك شذر مذر وبعج الأرض وبخعها فقاءت أكلها ولفظت خبيئها ترأمه ويصدف عنها، وتصدى له ويأباها ثم ورع فيها وودعها كما صحبها فأروني ما تريبون وأي يوم تنقمون؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم أم يوم ظعنه فقد نظر لكم؟ أستغفر الله العظيم لي ولكم. وقد روى هذا الحديث جعفر بن عون عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها[1].

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٩/٤٩) من طريق علي بن أحمد السدوسي عن أبيه وقال: «وأحمد السدوسي لم يدرك عائشة ولم أعرفه ولا ابنه».

تفسير كلمات غريبة فيه:

الأزفلة: الجماعة، وتعطوه: تناوله، والطود: الجبل، والمنيف: المشرف، وأكديتم: خبتم ويئس من خيركم، وونيتم: فترتم، والأمد: الغاية، والمملق: الفقير، ويرأب: يجمع، والشعب: المتفرق، واستشرى: احتد، والشكيمة: الأنفة والحمية، والوقيذ: العليل، والجوارح: معروفة ـ وفي رواية: الجوانح ـ وهي الضلوع القصار التي تقرب من الفؤاد، والشجي: الحزين، والنشيج: صوت البكاء، وانتثلوه: مأخوذ من النثلة وهي الجعبة، وفلوا: كسروا، والصفاة: الصخرة الملساء، وقولها: على سيسائه: أي على شده، والجران: الصدر وهو البرك، ومعنى فرفع حاشيته وجمع قطريه: تحزم للأمر وتأهب. والقطر: الناحية، فرد نشر الإسلام على غربه كذا وقع في الرواية والصواب على غره: أي على طيه، والأود: العوج، والثقاف: تقويم الرماح وغيرها، واندفر: تفرق، وانتاش الدين أي: أزال عنه ما يخاف عليه، ونعشه: رفعه، فنخ الكفرة: أي أذلها، وديخها: أي دوخها، ـ وفي رواية: دنخها، بالنون ـ أي صغرها، شذر مذر: أي تفريقاً، وبعج الأرض: أي شقها، وكذلك نجعها، وترأمه: أي تعطف عليه، وتصدى له: تعرض.

وعن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، فما سمعت الكلام من في مخلوق أحسن ولا أفخم من في عائشة رحمة الله عليهم أجمعين.

وعن سفيان قال: سأل معاوية زياداً: أي الناس أبلغ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أعزم عليك. قال: إذا عزمت على عائشة. فقال معاوية: ما فتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته.

ذكر وفاة عائشة رضي الله عنها:

عن ذكوان حاجب عائشة أنه جاء عبدالله بن عباس يستأذن على عائشة

فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبدالله بن عبدالرحمن فقلت: هذا ابن عباس يستأذن .فأكب عليها ابن أخيها عبدالله فقال: هذا ابن عباس. فقالت: دعني من ابن عباس. فقال لها: يا أماه إن ابن عباس من صالحي بنيك يسلم عليك ويودعك. فقالت: ائذن له إن شئت. فأدخلته فلما دخل قال: أبشري فما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد. كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح في المنزل وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦]. فكان هذا من سببك وما أنزل الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله عزَّ وجلَّ براءتك من فوق سبع سماوات جاء به الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله عزَّ وجلَّ يذكر فيه الله إلا تتلى فيه آناء الليل وآناء النهار.

فقالت: دعني منك يا ابن عباس، فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً[١].

قال الواقدي: توفيت عائشة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة.

وقال غيره: توفيت سنة سبع وخمسين وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها، وصلى عليها أبو هريرة، وكان خليفة مروان بالمدينة.

وعن هشام بن عروة قال: مات أبو هريرة وعائشة سنة سبع وخمسين.

***

(١) أخرجه أحمد: (٢٤٩٢) وسنده صحيح.



٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب[(١)] رضي اللَّه عنهما

كانت عند خنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد الهجرة مقدم النبي ﷺ من بدر. فخلف عليها رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب قال: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذيفة أو حذافة ـ شك عبدالرزاق ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً فتوفي بالمدينة.

قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة. فقال: سأنظر في ذلك. فلبثت ليالي، فلقيني فقال: ما أريد أن أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة. فلم يرجع إليّ شيئاً فكنت أوجد عليه مني على عثمان. فلبثت ليالي فخطبها إلي رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قلت نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها علي إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لنكحتها. انفرد بإخراجه البخاري[(٢)].

وعن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ فتجلببت. قال: فقال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة[(٣)].

---

(١) انظر في سيرة السيدة حفصة أم المؤمنين: الطبقات (٨/٨١) وسير أعلام النبلاء: (٢/٢٢٧)، والإصابة: (٨/٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٠٠٥) والنسائي: (٣٢٤٨) وأحمد: (٧٥).

(٣) أخرجه الحاكم: (٦٧٥٣) والطبراني في الأوسط: (١/٥٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٤٥): «رواه الطبراني» ورجاله رجال الصحيح.

عن عمار بن ياسر قال: أراد رسول الله ﷺ أن يطلق حفصة فجاء جبريل عليه السلام فقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.

قال الواقدي: توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة. وقيل: ماتت في خلافة عثمان بالمدينة.

* * *



٥ ـ أم سلمة
واسمها هند بنت أبي أمية، واسمه سهيل[١]

ويقال له: زاد الركب بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وكانت عند أبي سلمة بن عبدالأسد فهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً. ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة فتزوجها رسول الله ﷺ.

عن ابن أم سلمة أن أبا سلمة جاء إلى أم سلمة فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً أحب إليّ من كذا وكذا لا أدري ما عدل به. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، اللهم أخلفني فيها خيراً منها، إلا أعطاه الله عزَّ وجلَّ**».

قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه. ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم أخلفني فيها بخير منها. ثم قالت: من خير من أبي سلمة أليس أليس؟ ثم قالت ذلك.

فلما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت. ثم أرسل إليها عمر يخطبها فأبت. ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها فقالت: مرحباً

---

(١) انظر في سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: الطبقات: (٨/٨٦) وسير أعلام النبلاء (٢/٢٠٢) وأسد الغابة: (٥/٥٨٨).

برسول الله ﷺ، إن فيّ خلالاً ثلاثاً: امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مصبية، وأنا امرأة ليس لي ها هنا أحد من أوليائي فيزوجني.

فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين ردته. فأتاها عمر فقال: أنت التي تردين رسول الله ﷺ: بما تردينه؟ فقالت: يا ابن الخطاب لي كذا وكذا.

فأتاها رسول الله ﷺ فقال: «**أما ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله عزَّ وجلَّ أن يذهبها عنك: وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله عزَّ وجلَّ سيكفيكهم. وأما ما ذكرت من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني**». وقال لابنها: «**زوج رسول الله ﷺ**» فزوجه. فقال رسول الله ﷺ: «**أما إني لم أنقصك مما أعطيت فلانة**».

قال ثابت: قلت لابن أم سلمة: ما أعطى فلانة؟ قال: أعطاها جرتين تضع فيهما حاجتها، ورحى ووسادة من أدم حشوها ليف.

ثم انصرف رسول الله ﷺ. ثم أقبل رسول الله ﷺ بابنها. فلما رأته وضعت زينب أصغر ولدها في حجرها فلما رآها انصرف وأقبل رسول الله ﷺ بابنتها، فوضعتها في حجرها وأقبل عمار مسرعاً بين يدي رسول الله ﷺ فانتزعها من حجرها وقال: هاتي هذه المشقوحة التي قد منعت رسول الله ﷺ حاجته. فجاء رسول الله ﷺ فلما لم يرها في حجرها قال: «**أين زناب؟**» قالت: أخذها عمار. فدخل رسول الله ﷺ على أهله[١].

قال: وكانت في النساء كأنها ليست فيهن لا تجد ما يجدن من الغيرة.

توفيت أم سلمة في سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة اثنتين وستين. وقبرت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة رضي الله عنها.

* * *

---

(١) أخرجه بهذا السياق ابن سعد في الطبقات: (٨/٨٩) وأصله في مسلم.



٦ ـ أم حبيبة واسمها رملة[١]

بنت أبي سفيان بن حرب. كانت عند عبيدالله بن جحش وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم ارتد عن الإسلام وتنصر ومات هنالك. وثبتت أم حبيبة على دينها فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطبها عليه فزوجها إياه وأصدق عنه النجاشي أربعمائة دينار وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة. وقيل: وكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها وذلك في سنة سبع من الهجرة.

قال سعيد بن العاص: قالت أم حبيبة: رأيت في النوم كأن عبيدالله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه. ففزعت فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة، إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد، ثم رجعت في النصرانية.

فقلت: والله ما خير لك. وأخبرته بالرؤيا التي رأيتها فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات: فأرى في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني.

قالت: فما هو إلا أن قد انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن. فإذا جارية له يقال لها: أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت علي فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه فقالت: بشرك الله بخير. قالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك.

---

(١) انظر في سيرة أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الطبقات: (٨/٨٦). والاستيعاب: (٤/٤٢١) والسير: (٢/٢١٩) والإصابة: (٨/٣٠٠).

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشرتها.

فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم صلى الله عليهما وسلم.

أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار.

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد، أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ.

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها. ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام وأكلوا ثم تفرقوا.

قالت أم حبيبة: فلما وصل إلى المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذٍ ولا مال بيدي فهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعيني بها. فأبت وأخرجت حقاً فيه كل ما كنت أعطيتها فردته عليَّ وقالت: عزم علي الملك أن لا أرزأك شيئاً وأنا التي أقوم على

ثيابه ودهنه وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله عزَّ وجلَّ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر.

قالت: فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير فقدمت بذلك كله على رسول الله ﷺ فكان يراه عليّ وعندي فلا ينكره. ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك أن تقرئي على رسول الله ﷺ مني السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه. قالت: ثم لطفت بي وكانت التي جهزتني، وكانت كلما دخلت عليّ تقول: لا تنسي حاجتي إليك.

قالت: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة فتبسم وأقرأته منها السلام فقال: **«وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»**(١).

قال الزهري: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ، وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام ودخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر(٢).

قالت عائشة رضي الله عنها: دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك كله، وتجاوز وحلك من ذلك كله. فقالت: سررتني سرَّك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك. وتوفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية(٣).

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٨/٩٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٨/١٠٠) وفيه الواقدي متروك الحديث.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: (٨/٢١٦) والإصابة: (٨/٨٥).

وحبذا لو تأسى المؤمنون بفعل أم حبيبة وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ هذا، فسامحوا بعضهم بعضاً قبل الموت فمن سامح الناس سامحه الله ومن عفا؛ عفا الله عنه.



٧ ـ زينب بنت جحش بن رئاب[١]

أمها أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ زوجها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلما طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة وكانت من المهاجرات.

عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «**اذهب فاذكرني لها**»[٢]. فلما قال ذلك عظمت في نفسي فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب، بعثني إليك رسول الله ﷺ يذكرك. فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى أؤامر ربي عزَّ وجلَّ[٣]. فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] فجاء رسول الله ﷺ فدخل بغير إذن. أخرجه مسلم[٤].

وقد أخرج البخاري من حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[٥].

وعنه قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ، تقول: إن الله عزَّ وجلَّ أنكحني من السماء ـ وأطعم النبي ﷺ يومئذ عليها خبزاً ولحماً ـ قال: وكان القوم جلوساً في البيت فخرج النبي ﷺ فلبث

---

(١) انظر في سيرة السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين: الطبقات: (٨/١٠١) وسير أعلام النبلاء: (٢/٢١٢) وفتح الباري: (٩/٤٧٩) والإصابة: (٨/٣٠٨).

(٢) فاذكرني لها: أي فاخطبها لي.

(٣) حتى أؤامر ربي: أي تستخير الله تعالى.

(٤) أخرجه مسلم: (١٤٢٨) وأحمد: (١٢٦١٣).

(٥) أخرجه البخاري: (٧٤٢٠).

هنية، فرجع والقوم جلوس فشق ذلك عليه وعرفت ذلك في وجهه فنزلت آية الحجاب(١).

قلت: نزول آية الحجاب في قصة زينب في الصحيحين من حديث أنس بن مالك الأنصاري. وفيها من حديثه أيضاً قال: ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب فقال له ثابت البناني: بما أولم؟ قال: أطعمهم خبراً ولحماً حتى تركوه(٢).

وعن عائشة قالت: كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله عزَّ وجلَّ بالورع. ولم أر امرأة أكثر خيراً وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ من زينب ما عدا سورة من حدة كانت فيها، يوشك منها الفيئة(٣).

وعن برزة بنت رافع قالت: لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، لغيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله. وأسترت دونه بثوب وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوباً. فصبوه وطرحوا عليه ثوباً. فقالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي إلى آل فلان وآل فلان من أيتامها وذوي رحمها فقسمته حتى بقيت منه بقية فقالت لها برزة: غفر الله لك، والله لقد كان لنا في هذا حظ. قالت: فلكم ما تحت الثوب. قالت: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً. ثم رفعت يديها فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا. قال: فماتت(٤).

---

(١) أخرجه أحمد: (١٢٩٤٨) وفي سنده محمد بن عبدالله التميمي - التابعي - وثقه ابن حبان وضعفه آخرون.

(٢) أخرجه البخاري: (٥١٦٨) ومسلم: (١٤٢٨) وأبو داود: (٣٧٤٣) وابن ماجه: (١٩٠٨) وأحمد: (١٢٣٤٨).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم: (٢٤٤٢) لكن بدون قولها: «فعصمها الله بالورع».

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٨/ ١٠٩).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «**أولكن يتبعني أطولكن يداً**». قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الحائط نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا يداً. فعرفت أن النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدقة. وكانت امرأة صناعاً، وكانت تعمل بيدها وتتصدق به في سبيل الله عزَّ وجلَّ[1].

توفيت زينب بنت جحش في سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين سنة، رحمها الله.

***



٨ ـ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار[2] رضي اللَّه عنها

قالت عائشة: أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق، فوقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه. فبينما رسول الله ﷺ عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها. فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي ﷺ عرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق فأعني في كتابتي. فقال: «**أو خير من ذلك؟**» فقالت: ما هو؟ فقال: «**أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك**». قالت: نعم يا رسول الله. فقال: «**قد فعلت**». فخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يسترقون! فأعتقوا ما كان في

---

(١) أخرجه البخاري: (١٤٢٠) ومسلم: (٢٤٥٢) والنسائي: (٢٥٤٠) وأحمد: (٢٤٣٧٨).

(٢) انظر في سيرة أم المؤمنين جويرية بنت الحارث: الطبقات: (٨/١١٦) وسير أعلام النبلاء (٢/٢٦٣) والاستيعاب: (٤/٣٦٧).

أيديهم من نساء بني المصطلق فبلغ عتقهم مائة بنت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها[1].

قال ابن عباس: كان اسمها برة فحوله رسول الله ﷺ فسماها جويرية كره أن يقال خرج من عند برة.

وعن ابن عباس، عن جويرية: انطلق علي رسول الله غدوة وأنا أسبّح. ثم انطلق لحاجته ثم رجع قريباً من نصف النهار فقال: «**أما زلت قاعدة؟**» قلت نعم. قال: «**ألا أعلمك كلمات لو عدلن بهن لعدلنهن ولو وزن بهن وزنهن** ـ يعني جميع ما سبحت ـ **سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات**» انفرد بإخراجه مسلم[2].

تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهي بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين، وفي رواية ست وخمسين، وهي بنت خمس وستين رحمها الله.

❋ ❋ ❋



٩ ـ صفية بنت حيي بن أخطب[3] رضي اللّه عنها

من سبط هارون بن عمران. سباها النبي ﷺ يوم خيبر فاصطفاها لنفسه فأسلمت وأعتقها، وجعل عتقها صداقها. وقيل: وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس.

عن جابر أن رسول الله ﷺ أتى بصفية يوم خيبر وإنه قتل أخاها

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣٩٣١) وأحمد: (٢٥٨٣٣).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٧٢٦) والنسائي: (١٣٥١) وأبو داود: (١٥٠٣) والترمذي: (٣٥٥٥) وابن ماجه: (٣٨٠٨) وأحمد: (٢٦٢١٨).

(٣) انظر في سيرة السيدة صفية بنت حُيي أم المؤمنين: الطبقات: (٨/١٢٠) والاستيعاب: (٤/٤٢٦) وأسد الغابة: (٥/٤٩٠) والسير: (٢/٢٣٢).

وزوجها. وقال لبلال: خذ بيد صفية فأخذ بيدها فمر بها بين القتلى فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رؤي في وجهه(١).

ثم قام رسول الله ﷺ فدخل عليها فنزعت شيئاً كانت عليه جالسة فألقته لرسول الله ﷺ ثم خيّرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه. فقالت: أختار الله ورسوله. فلما كان عند رواحه، احتقب بعيره ثم خرجت معه تمشي حتى ثنى لها ركبته على فخذه. فأجلت رسول الله ﷺ أن تضع قدمها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه فركبت. ثم ركب النبي ﷺ فألقى عليها كساء، ثم سارا. فقال المسلمون حجبها رسول الله ﷺ حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها فأبت صفية. فوجد النبي ﷺ عليها في نفسه.

فلما كان بالصبهاء(٢) مال إلى دومة هناك فطاوعته فقال لها: «**ما حملك على إبائك حين أردت المنزل الأول؟**» قالت: يا رسول الله، خشيت عليك قرب يهود. فأعرس بها رسول الله ﷺ بالصهباء، وبات أبو أيوب

---

(١) انظر الإصابة: (٨/٣٣٨).

(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات: (٨/١٢٠) غير أن سياقه أتم من هذا السياق.
وقد أخرج البخاري: (٣٧١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني أنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «**اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**» قالها ثلاثاً، قال: وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد، ـ قال عبدالعزيز: وقال بعض أصحابنا: والخميس، يعني الجيش ـ قال: فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية الكلبي رضي الله عنه فقال: يا نبي الله أعطني جارية من السبي، قال: «**اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً**» فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك؟ قال: «**ادْعُوهُ بِهَا**»، فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «**خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا**»، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ =

ليلته يحرس رسول الله ﷺ، يدور حول خباء رسول الله ﷺ. فلما سمع رسول الله ﷺ الوطء قال: «**من هذا؟**» قال: أنا خالد بن زيد. فقال: «**ما لك؟**» قال: ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك. فأمره رسول الله ﷺ فرجع.

توفيت صفية سنة خمسين، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: ست وثلاثين، ودفنت بالبقيع.

* * *



١٠ ـ أم شريك رضي الله عنها

واسمها غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية، قال الأكثرون هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

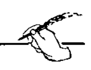
عن ابن عباس قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة وكانت تحت أبي العسكر الدوسي. ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، لكنا سنردك إليهم.

قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس واستظلوا هم منها، وحبسوني عن الطعام والشراب. فبينا هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس إذا أنا ببرد شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع مني فرفع.. ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع. ثم عاد فتناولته ثم رفع مراراً، ثم تركت فشربت حتى رويت ثم أفضت

= عروساً، فقال: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِيءْ بِهِ**»، وبسط نطعاً فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن قال وأحسبه قد ذكر السويق، قال: فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ.

سائره على جسدي وثيابي. فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت: لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا. قالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا. فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك. وأقبلت إلى النبي ﷺ فوهبت نفسها له بغير مهر، فقبلها ودخل عليها[1].

❋ ❋ ❋



١١ ـ فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد المناف

أم علي بن أبي طالب عليه السلام. أسلمت وكانت صالحة. وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها. ولما ماتت نزع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه.

وقال علي بن أبي طالب: قلت لأمي فاطمة بنت أسد: أكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل والطحن والعجين[2].





١٢ ـ أم أيمن، واسمها بركة

مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه فأعتقها حين تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن. ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة، فولدت له أسامة رضي الله عنه.

---

(١) الإصابة: (٨/٤٤٦).

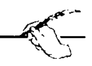
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٢٤/٣٥٣) وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٥٦): «رجاله رجال الصحيح».

عن عثمان بن القاسم قال: خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد، وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت تموت من شدة العطش. قال: وهي بالروحاء أو قريباً منها. قالت: فلما غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي، فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلي برشاء أبيض. قالت: فدنا مني حتى إذا كان بحيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت. قالت: فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدها[١].

وعن أنس قال: ذهبت مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها فقربت له طعاماً أو شراباً فإما كان صائماً وإما لم يرده فجعلت تخاصمه أي: كل. فلما توفي النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: مر بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما رأتهما بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما أبكي إني لأعلم أن رسول الله ﷺ قد صار إلى خير مما كان فيه ولكن أبكي لخبر السماء انقطع عنا. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[٢].

قال الواقدي: حضرت أم أيمن أحداً وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر وتوفيت في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه.





١٣ ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وهاجرت في هدنة الحديبية.

عن ربيعة بن عثمان وقدامة قالا: لا نعلم قرشية خرجت من بين

---

(١) انظر مصنف عبدالرزاق: (٤/٣٠٩) وسير أعلام النبلاء: (٢/٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٤٥٤) وابن ماجه: (١٦٣٥).

أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم. قالت: كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي فأقيم بها الثلاث والأربع، وهي ناحية التنعيم، ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية، حتى أجمعت المسير فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية. فلما رجع من تبعني إذا رجل من خزاعة قال: أين تريدين؟ قلت: ما مسألتك؟ ومن أنت؟ قال: رجل من خزاعة. فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده. فقلت: إني امرأة من قريش وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا علم لي بالطريق. فقال: أنا صاحبك حتى أوردك المدينة. ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقود بي البعير، ولا والله ما يكلمني بكلمة. حتى إذا أناخ البعير تنحى عني فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة وتنحى إلى فيء شجرة، حتى إذا كان الرواح حذج البعير، فقربه وولى عني فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة فجزاه الله من صاحب خيراً. فدخلت على أم سلمة وأنا متنقبة فما عرفتني حتى انتسبت وكشفت النقاب، فالتزمتني وقالت: هاجرت إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، وأنا أخاف أن يردني كما رد أبا جندل وأبا بصير، وحال الرجال ليس كحال النساء، والقوم مصبحي، قد طالت غيبتي اليوم عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب، ثم يطلبوني، فإن لم يجدوني رحلوا.

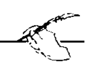
فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فأخبرته خبر أم كلثوم فرحب بها وسهل. فقلت: إني فررت إليك بديني فامنعني ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين حتى امتنع أحدهما فقال: «**إن الله عزَّ وجلَّ قد نقض العهد في النساء**» وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم، وكان يرد النساء، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا: أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه فقال: «**قد نقض الله العهد**»، فانصرفا[1].

---

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات: (٨/٢٣٠) وابن حجر في الإصابة بنحوه: (٨/٤٦٧).

قلت: واعلم أن نقض العهد في النساء معناه نزول الامتحان في حقوقهن فامتحنها رسول الله ﷺ وامتحن النساء بعدها، وذلك أنه كان يقول لهن: «**والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال**». فإذا قلن ذلك تركهن ولم يرددن إلى أهليهن وكانت أم كلثوم عاتقاً حينئذٍ فتزوجها زيد بن حارثة. فلما قتل عنها تزوجها الزبير فولدت له زينب. ثم تزوجها عبدالرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميداً. تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده رحمها الله.

❋ ❋ ❋



١٤ ـ الحولاء بنت تويت بن حبيب ابن أسد بن عبدالعزى

أسلمت وبايعت رضي الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها: أن الحولاء مرت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت: هذه الحولاء، وزعموا أنها لا تنام الليل. فقال: «**لا تنام الليل؟ خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا**»[1].

❋ ❋ ❋



١٥ ـ أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق رضي اللَّه عنهما

أسلمت بمكة قديماً، وبايعت وشقت نطاقها ليلة خرج رسول الله ﷺ إلى الغار فجعلت واحداً لسفرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لقربته فسميت ذات النطاقين تزوجها الزبير. وكانت صالحة كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها.

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٣) ومسلم: (٧٨٥) وأحمد: (٢٥٧٧٧) ومالك: (٢٦٠).

عن عبدالله بن الزبير قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت. وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد. رواه البخاري(١).

وروى أيضاً من حديث عروة قال: دخلت أنا وعبدالله بن الزبير على أسماء قبل قتل عبدالله بعشر ليال، وأسماء وجعة، فقال لها عبدالله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة، قال: إن في الموت لراحة، قالت: لعلك تشتهي موتي فلذلك تمناه، فلا تفعل فوالله ما أشتهي أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني، فإياك أن تعرض عليك خصلة لا توافقك فتقبلها كراهية الموت(٢).

وإنما عنى ابن الزبير أن يقتل فيحزنها ذلك.

توفيت أسماء بعد قتل ابنها عبدالله، رضي الله عنه بليال.





١٦ ـ سمية بنت خياط رضي اللّه عنها

مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وهي أم عمار بن ياسر، أسلمت بمكة قديماً وكانت ممن يعذب في الله عزَّ وجلَّ لترجع عن دينها فلم تفعل. فمر بها يوماً أبو جهل فطعنها في قبلها فماتت، وكانت عجوزاً كبيرة فهي أول شهيدة في الإسلام رحمها الله(٣).

عن مجاهد قال: أول شهيد كان في الإسلام استشهد: أم عمار، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: (٢٨٠) وليس في صحيحه كما قد يُتَوهم من قول ابن الجوزي.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: (٥٠٩) وابن أبي شيبة في المصنف: (٧/٤٧٢).

(٣) انظر تاريخ بغداد: (١/١٥٠) وتهذيب الكمال: (٢١/٢١٦).

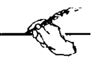


١٧ ـ فاطمة بنت الخطاب رضي اللّه عنها

أخت عمر أسلمت قبل عمر هي وزوجها سعيد بن عمرو بن نفيل، فلما علم عمر بإسلامها دخل عليها فشجها فبكت وقالت: يا ابن الخطاب، ما كنت صانعاً فاصنعه فقد أسلمت[١].

وقد ذكرنا هذا في قصة إسلام عمر رحمه الله.

❋ ❋ ❋

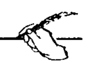


١٨ ـ أم رومان بن عامر

أسلمت بمكة قديماً وبايعت وتزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فولدت له عبدالرحمن وعائشة، وهاجرت إلى المدينة.

وقد ذكر محمد بن سعد وإبراهيم الحربي أنها توفيت على عهد رسول الله ﷺ وقال آخرون: بل عاشت بعده دهراً طويلاً، رحمها الله.





١٩ ـ أم الفضل

وهي لبابة الكبرى ابنة الحارث بن حزن وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة تزوجها العباس فولدت له الفضل وعبدالله وعبيدالله ومعبداً وقثم وعبدالرحمن وأم حبيب وفيها يقول عبدالله بن يزيد الهلالي:

مـا ولـدت نـجـيـبـة مـن فـحـل كـسـتـة مـن بـطـن أم الـفـضـل

أكـــرم بـــهـــا مـــن كـــهـــلـــة وكـــهـــل[٢]

(١) انظر الطبقات: (٨/٢٦٦) والإصابة: (٨/٣٧٠) والبداية والنهاية: (٧٨/ ٢).

(٢) الإصابة: (٨/٤٦١)، والأبيات بتمامها:

مـا ولـدت نـجـيـبـة مـن فـحـل بـجـبـل نـعـلـمـه وسـهـل=

وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها وكانت تصوم الاثنين والخميس.

* * *



٢٠ ـ أسماء بنت عميس

أسلمت بمكة قديماً وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر رضي الله عنه ومات عنها وأوصى أن تغسله ثم تزوجها علي بن أبي طالب.

عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم إما قال بضع وإما قال ثلاثة وخمسون، وإما اثنان وخمسون رجلاً من قومي، قال: فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا. قال: فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً.

قال: فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، فقسم لهم معهم. قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا يعني لأصحاب السفينة: نحن سبقناكم بالهجرة.

قال: فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ فقالت أسماء بنت عميس، فقال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه؟

= كستة من بطن أم الفضل ... أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل ... وخاتم الأنبياء وخير الرسل

فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبت وقالت: كلا يا عمر، كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ هالككم وكنا في دار - أو في أرض - البعد بالحبشة، وذلك في ذات الله عزَّ وجلَّ وفي رسول الله ﷺ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ وأسأله والله لا أكذب ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: **«فما قلت له؟»** قالت: قلت له كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: **«ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان»**، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً ليسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم أفرح به ولا أعظم في أنفسهم مما قال رسول الله ﷺ لهم. أخرجاه في الصحيحين[١].





٢١ - أم عمارة واسمها نسيبة
- بفتح النون وكسر السين -

بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية أسلمت وبايعت وشهدت أحداً والحديبية وخيبر وحنيناً وعمرة القضية ويوم اليمامة.

وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني»**[٢].

قال الواقدي: قاتلت يوم أحد وجرحت اثنتي عشرة جراحة وداوت جراحاً في عنقها سنة ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم.

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٢٣١) ومسلم: (٢٥٠٣).

(٢) انظر فتح الباري: (٦/٨٠).

وعن محمد بن إسحاق قال: وحضرت البيعة بالعقبة امرأتان قد بايعتا: إحداهما نسيبة بنت كعب، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ، شهدت معه أحداً وخرجت مع المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر في الردة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضربة.

قال ابن إسحاق: حدثني بهذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان، ومحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة[١].





٢٢ ـ أم سليط الأنصارية

أسلمت وبايعت وشهدت أحداً وخيبر وحنيناً. قال ثعلبة بن أبي مالك: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً[٢] بين نساء من نساء أهل المدينة فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من حضر عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة ابنة رسول الله ﷺ التي عندك ـ يريدون أم كلثوم ـ، بنت علي فقال: أم سليط أحق به، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ، وكانت تزفر لنا القرب يوم أحد. انفرد بإخراجه البخاري[٣].

❋ ❋ ❋



٢٣ ـ أم سليم بنت ملحان بن خالد ابن زيد بن حرام

وهي الغميصاء، وقيل: الرميصاء. واختلفوا في اسمها فقيل: سهلة،

(١) انظر الطبقات: (٨/٤١٦) والإصابة: (٨/٤٠٣).

(٢) المرط: كساء من صوف.

(٣) أخرجه البخاري: (٢٨٨١).

وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: أنيفة. تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك، ثم قتل فخطبها أبو طلحة.

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما إني فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره فأسلم أبو طلحة وتزوجها[1].

وعنه أن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ لئن أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالت: يا أنس زوج أبا طلحة[2].

عن أنس بن مالك قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: ما مثلك يرد ولكن لا يحل أن أتزوجك، أنا مسلمة وأنت كافر، فإن تسلم فذاك مهري لا أسألك غيره. فأسلم فتزوجها.

قال ثابت: فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلام.

وعنه أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه. فقيل له، فقال: «**إني أرحمها، قتل أخوها معي**»[3].

وعنه قال: كان النبي ﷺ يدخل على أم سليم فتبسط له النطع فيقيل عندها فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها[4].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فسمعت**

---

(١) أخرجه النسائي: (٣٣٤١) وصححه الضياء في «الأحاديث المختارة»: (٤/٤٢٧).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/٦٠) وانظر «التحقيق في أحاديث الخلاف»: (٢/٢٦٧).
(٣) أخرجه البخاري: (٢٨٤٤) ومسلم: (٢٤٥٥).
(٤) أخرجه البخاري: (٦٢٨١) ومسلم: (٢٣٣٢) وأحمد: (١١٥٨٩).

خشفة بين يدي فإذا هي الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»[1].

وعنه قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله ﷺ من أم سليم فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى أم سليم معها خنجر؟ فقال لها رسول الله ﷺ: **«ما تصنعين به يا أم سليم؟»** قالت: أردت إن دنا أحد منهم مني طعنته[2].

وعنه قال: كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم[3].

وعنه قال: زار رسول الله ﷺ أم سليم فصلى في بيتها تطوعاً وقال: **«يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً، ثم سلي الله عزَّ وجلَّ ما شئت فإنه يقال لك: نعم نعم نعم»**[4].

وعنه قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكى فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان. فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها. فلما فرغ قالت: واروا الصبي. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: **«أعرستم الليلة؟»** قال: نعم. قال: **«اللهم بارك لهما»**. فولدت له غلاماً. فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ وبعث معه بتمرات فقال: **«أمعك شيء؟»** قلت: نعم تمرات. فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في فيّ الصبي ثم حنكه وسماه: عبدالله. أخرجاه في الصحيحين[5].

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٤٥٦) وأحمد: (١١٥٤٤).
(٢) أخرجه مسلم: (١٨٠٩) وأبو داود: (٢٧١٨).
(٣) أخرجه البخاري: (٢٨٨٠) ومسلم: (١٨١١).
(٤) ذكره الهيثمي في المجمع: (١٠١/ ١٠) وقال: «فيه عبدالرحمن بن إسحق أبو شيبة الواسطي وهو ضعيف».
(٥) أخرجه البخاري: (٥٤٧٠) ومسلم: (٢١٤٤).

وعنه قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه قال: فجاء فقربت له عشاء فأكل وشرب وقال. ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك، فوقع بها. فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك.

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في ليلتكما** » قال: فحملت.

قال: وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً فدنوا من المدينة فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ فقال أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب إنه ليعجبني أن أخرج إلى رسول الله ﷺ إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى. قال: تقول له أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد. فانطلقنا.

قال: فضربها المخاض حين قدمنا فولدت غلاماً. فقالت لي أمي: يا أنس، لا يرضعنه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ. قال: فلما أصبحت احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فصادفته ومعه ميسم. فلما رآني قال: «**لعل أم سليم ولدت؟**» قلت: نعم. فوضع الميسم وجئت به فوضعته في حجره قال: ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في فيّ الصبي فجعل الصبي يتلمظ. فقال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى حب الأنصار التمر**» قال: فمسح وجهه وسماه عبدالله[1].

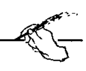
وقد روي لنا من طريق آخر أن الولد الذي مات كان اسمه حفص وكان قد ترعرع.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢١٤٤) وأحمد: (١٢٦١٤).

وعن عباية بن رفاعة، عن أم سليم قالت: توفي ابن لي وزوجي غائب فقمت فسجيته في ناحية من البيت. فقدم زوجي فقمت فتطيبت له فوقع علي. ثم أتيته بطعام فجعل يأكل فقلت: ألا أعجبك من جيراننا؟ قال: وما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال: بئس ما صنعوا. فقلت: هذا ابنك. فقال: لا جرم لا تغلبيني على الصبر الليلة. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «**اللهم بارك لهم في ليلتهم**». فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن.

❊ ❊ ❊



٢٤ ـ أم حرام بنت ملحان

أخت أم سليم أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ. وكان يقيل في بيتها.

عن أنس بن مالك عن أم حرام أنها قالت: بينا رسول الله ﷺ قائل في بيتي إذا استيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي أنت وأمي ما يضحكك؟ قال: «**عرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة**». فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**اللهم اجعلها منهم**». ثم نام أيضاً فاستيقظ وهو يضحك. فقلت: بأبي أنت وأمي ما يضحكك؟ قال: «**عرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة**» فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**أنت من الأولين**». فغزت مع عبادة بن الصامت وكان زوجها فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت. أخرجاه في الصحيحين[1].

وعن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عمير بن الأسود العنسي أنه حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو بساحل حمص في بناء له ومعه امرأته أم حرام. قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**».

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٨٠٠) ومسلم: (١٩١٢) والنسائي: (٣١٧٢) وأبو داود (٢٤٩٠) وابن ماجه: (٢٧٧٦) وأحمد: (١٣١٠٨).

قالت أم حرام: يا رسول الله أنا منهم؟ قال: «**أنتِ منهم**»[1].

قال هشام: رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بقاقيس.

وعن هشام بن الغاز قال: قبر أم حرام بنت ملحان بقبرس وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة، رحمها الله.

❋ ❋ ❋



٢٥ ـ عفراء بنت عبيد بن ثعلبة

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ورزقها الله سبعة بنين كلهم شهدوا بدراً مسلمين. وذلك أنها تزوجت الحارث بن رفاعة فولدت له معاذاً ومعوذاً. ثم طلقها فقدمت مكة فتزوجت بكير بن عبد ياليل، فولدت له خالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً. ثم رجعت إلى المدينة فراجعها الحارث بن رفاعة فولدت له عوفاً. فشهدوا كلهم بدراً مسلمين. فاستشهد معاذ ومعوذ وعاقل ببدر، وخالد يوم الرجيع، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة. والبقية منهم لعوف.

❋ ❋ ❋



٢٦ ـ الربيع بنت معوذ بن عفراء

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وحدثت عنه، وكانت تخرج معه في الغزوات.

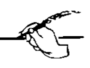
عن خالد بن ذكوان عن الربيع قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنخدم القوم ونسقيهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٩٢٤) وفي آخره زيادة مهمة وهي: ثم قال النبي ﷺ: «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**»، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**».

(٢) أخرجه البخاري: (٢٨٨٣) وأحمد: (٢٦٤٧٧).



٢٧ ـ أم عطية الأنصارية

واسمها نسيبة بنت كعب، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ. وهذه بضم النون، على خلاف اسم أم عمارة المتقدمة.

عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وكنت أخلفهم في الرحال، وأصنع لهم الطعام، وأقوم على المرضى، وأداوي الجرحى[١].

❋ ❋ ❋



٢٨ ـ أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ.

أخبرنا ابن الحصين بالإسناد عن أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث الأنصارية وكانت قد جمعت القرآن، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها.

وعنه عن جدته عن أمها أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث الأنصاري، وكان رسول الله ﷺ يزورها يسميها الشهيدة. وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدراً قالت له: ائذن لي فأخرج معك فأداوي جرحاكم وأمرّض مرضاكم، لعل الله عزَّ وجلَّ يهدي إليَّ الشهادة. قال: «**إن الله عزَّ وجلَّ مهد لك الشهادة**»؛ وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها، حتى غدا عليها جارية وغلام لها كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر رضي الله عنه. فقيل: إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها. فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ، كان يقول: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»، رحمها الله[٢].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم: (١٨١٢) وابن ماجه: (٢٨٥٦) وأحمد: (٢٠٢٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود: (٥٩١) وأحمد: (٢٦٧٣٩) وصححه ابن خزيمة غير أن ابن حجر قال في تلخيص الحبير: (٢/٢٧): «وفي إسناده عبدالرحمن بن خلاد وفيه جهالة».



٢٩ ـ امرأة من المهاجرات لم يذكر اسمها

عن أنس قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قضى. فبسطنا عليه ثوبه، وأم له عجوز كبيرة عند رأسه. فالتفت إليها بعضنا فقال: يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله عزَّ وجلَّ. قالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم. قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا نعم. قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم، فمدت يدها إلى الله فقالت: اللهم إنك تعلم أني أسلمت وهاجرت إلى رسولك ﷺ رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء، فلا تحملني هذه المصيبة اليوم، قال فكشف عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه.

❋ ❋ ❋



٣٠ ـ امرأة أخرى من المهاجرات

عن ابن سيرين أن أبا بكر أتي بمال فقسمه بين الناس، فبعث منه إلى امرأة من المهاجرات. فلما أتيت به قالت: ما هذا؟ قالوا: أبو بكر جاءه مال فقسمه في الناس، فقسم منه في نظرائك. قالت: أتخافوني أن أدع الإسلام؟ قالوا: لا، قالت: أفترشونني على ديني؟ قالوا: لا، قالت: فلا حاجة لي فيه[١].

❋ ❋ ❋



٣١ ـ اليمنية

عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله عزَّ وجلَّ أن يشفيني. قال: «**إن شئت**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٧١/٢).

دعوت الله لك فشفاك، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك». قالت: بل أصبر ولا حساب عليّ. رحمها الله[1].

❋ ❋ ❋



٣٢ ـ امرأة من الأنصار

عن أنس قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة وقالوا: قتل محمد. حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها، لا أدري بأيهم استقبلت أولاً. فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك: قالت: فما فعل النبي ﷺ؟ قالوا: أمامك. فذهبت إلى رسول الله فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ، لا أبالي إذا سلمت من عطب[2].





٣٣ ـ أمة لبعض العرب

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أسلمت أمة سوداء لبعض العرب فكان لها حفش[3] في المسجد. قالت: فكانت تأتينا فتحدث عندنا، فإذا فرغت من حديثها قالت:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ⁂ ألا إنه من بلدة الكفر نجاني

فلما أكثرت قلت لها وما يوم الوشاح؟ قالت: خرجت جويرية لبعض

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: (٩٣٩٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١١٦): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو وهو ثقة وفيه ضعف».

(٢) حلية الأولياء: (٢/٧٢).

(٣) الحفش: هو البيت الصغير الضيق.

أهلي وعليها وشاح من أدم[1] فسقط منها فانحطت عليه الحدأة وهي تحسبه لحماً فأخذته فاتهموني به فعذبوني حتى بلغ من أمري أنهم طلبوه في قبلي. فبينما هم حولي وأنا في كربي إذ أقبلت الحديا حتى وازت رؤوسنا ثم ألقته فأخذوه. فقلت لهم: هذا الذي اتهمتموني به وأنا منه بريئة[2].

انتهى ذكر المصطفيات من عالمات الصحابيات ومتعبداتهن.



(١) الأدم: الجلد المدبوغ.

(٢) أخرجه البخاري: (٣٨٣٥).

ذكر [المصطفيات] من التابعات ومن بعدهن على طبقاتهن في بلدانهن

عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهاداتهم إيمانهم، وإيمانهم شهادتهم»** أخرجاه في الصحيحين[1].

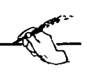
[عن] عمران بن حصين يقول رسول الله ﷺ: **«خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»** لا أدري مرتين أو ثلاثاً. أخرجاه في الصحيحين[2].



(١) أخرجه البخاري: (٢٦٥٢) ومسلم: (٢٥٣٣) والترمذي: (٣٨٥٩) وابن ماجه: (٢٣٦٢) وأحمد: (٣٥٨٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٦٥١) ومسلم: (٢٥٣٥).

ذكر المصطفيات من عابدات المدينة
فمن المعروفات



٣٤ ـ (مليكة بنت المنكدر)

عن موسى بن عبدالملك أبو عبدالرحمن المروزي قال: قال مالك بن دينار : بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحجر وهي تقول: أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلني معروفاً من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك، يا معروفاً يا لمعروف فعرفت أيوب السختياني، فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب: قولي خيراً يرحمك الله قالت: وما أقول أشكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضرا بي وشغلاني عن عبادة ربي، قوما فإني أبادر طي صحيفتي.

قال أيوب: فما حدثت نفسي بامرأة قبلها فقلت لها: لو تزوجت رجلاً كان يعينك على ما أنت عليه: قالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته. فقلت: أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختياني فقالت: أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا: هذه مليكة بنت المنكدر.

وعن أبي خالد البراد قال: كلمنا ابنة المنكدر في تخفيف بعض العبادة فقالت: دعوني أبادر طي صحيفتي رحمها الله.

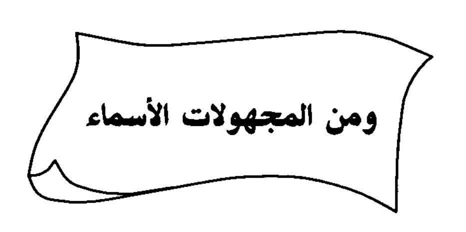
* * *



٣٥ ـ فاطمة بنت محمد بن المنكدر

عن إبراهيم بن مسلم القرشي قال: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فإذا جنها الليل تنادي بصوت حزين: هدأ الليل واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار. رحمها الله.







٣٦ ـ امرأة كانت في زمن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه

عن عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس المدينة إذ أعيا واتكأ على جنب جدار في جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء فقالت لها: يا أمتاه، وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية قالت: إنه أمر منادياً فنادى ألا يشاب اللبن بالماء فقالت لها: يا بنية، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر. فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء. وعمر يسمع كل ذلك فقال: يا أسلم، علم الباب واعرف الموضع. ثم مضى في عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذ ليس لهم رجل. فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة فقال عبدالله: لي زوجة. وقال عبدالرحمن: لي زوجة. وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي

فزوجني. فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتاً وولدت البنت بنتاً وولدت الابنة عمر بن عبدالعزيز.

(قال الشيخ): كذا وقع في رواية الآجرى وهو غلط ولا أدري من أي الرواة وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتاً وولدت البنت عمر بن عبدالعزيز كذلك نسبه العلماء.

❋ ❋ ❋



٣٧ ـ عابدة أخرى

عن عبدالله بن المبارك أن امرأة قالت لعائشة: اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت[١].

❋ ❋ ❋



٣٨ ـ عابدة أخرى

عن إبراهيم بن عبدالله المديني قال: حدثني أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم فإذا هي بجمجمة قد بدت.

قال: فصرخت. ثم رجعت منيبة، فدخل عليها نساؤها فقلن: ما هذا؟ فقلت:

بكى قلبي لذكر الموت لما رأيت جماجماً جوف القبور

ثم قالت: اخرجن عني فلا تأتيني منكن امرأة ترغب في خدمة الله تعالى. ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد: (صفحة ٣٦٩).

٣٩ ـ عابدة أخرى

عن أبي أيوب (رجل من قريش) أن امرأة من أهله كانت تجتهد في العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فأتاها الملعون فقال: إلى كم تعذبين هذا الجسم وهذه الروح؟ لو أفطرت وقصرت عن الصيام والقيام كان أدوم لك وأقوى قالت: فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير قالت: ثم دخلت مسجد رسول الله ﷺ معتصمة بقبره وذلك بين المغرب والعشاء فحمدت الله وصليت على رسوله ثم ذكرت ما نزل بي من وسواس الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه. قال: فسمعت صوتاً من ناحية القبر يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦] قالت: فرجعت مذعورة وجلة القلب فوالله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة.

٤٠ ـ عابدتان مدنيتان

بلغنا عن عبدالله ابن أخت مسلم بن سعد أنه قال: أردت الحج فدفع إليّ خالي مسلم عشرة آلاف درهم وقال لي: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها. فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدللت على أهل بيت فطرقت الباب فأجابتني امرأة من أنت؟ فقلت: أنا رجل من أهل بغداد أودعت عشرة آلاف وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وصفتم لي فخذوها فقالت: يا عبد الله إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا فتركتهم وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتني امرأة فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة. فقالت: يا عبدالله نحن وجيراننا في الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم.

انتهى ذكر أهل المدينة



ذكر المصطفيات من عابدات مكة



٤١ ـ حكيمة المكية

عن سلمة بن خالد المخزومي قال، وكان من خيار بني مخزوم، قال: كان ها هنا امرأة من بني مخزوم مجاورة، وكان يقال لها: حكيمة. وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذي لا بد منه. قال: ففتحت الكعبة يوماً وهي في بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها: حكيمة فتح اليوم بيت ربك فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرت عينك. قال: فصرخت حكيمة صرخة ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت، رحمها الله.





٤٢ ـ نقيش بنت سالم

عن أبي المورق قال: حدثني من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهي تقول: يا سيد الأنام رحلت بي الشقة وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك، وبرحمتك من غضبك. يا حبيب الأوابين، ما من لا يكديه الإعطاء، يا ذا المن والآلاء زدني بالثقة منك وصلة، واجعل قراي عتق رقبتي وأقرر عيني برضاك.

قال: ورأيتها بالموقف وهي تقول: بهظتني الآثام يا سيد الأنام كحلت عيني بملمول الحزن فوعزتك لا نعمت بضحك أبداً حتى أعلم أين قراري، وإلى أين تصير داري؟ فلما رأت أيدي الناس مبسوطة للدعاء قالت: يا رب أقامهم هذا المقام خوف النار. يا قرة عيني وعيون الأبرار، يلتمسون نائلك ويرجون فضلك. فلما رجعوا وضعت خدها وصرخت: انصرف الناس ولم أشعر قلبي منك اليأس.





٤٣ ـ عائشة المكية

عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: دخلت مكة، وكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة، ربما كنت أستلقي وأمد رجلي. فجاءتني عائشة المكية وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل، فقالت لي: يا عبدالله يقال إنك عالم، اقبل مني كلمة: لا تجالسه إلا بأدب فيمحو اسمك من ديوان القرب.

* * *



٤٤ ـ ابنة أبي الحسن المكي

عن عبدالله بن أحمد بن بكر. قال: كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة أشد ورعاً منه وكانت لا تقتات إلا ثلاثين درهماً ينفذها إليها أبوها في كل سنة مما يستفضله من ثمن الخوص الذي يسفه ويبيعه.

فأخبرني ابن الرواس التمار، وكان جاره، قال: جئت أودعه للحج وأستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لي فسلم إلي قرطاساً وقال: تسأل بمكة عن الموضع الفلاني عن فلانة وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته.

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهاراً من أن تخفى فتتبعت نفسي أن يصل إليها شيء من مالي يكون لي ثوابه، وعلمت أنني إن دفعت إليها ذاك لم تأخذه. ففتحت القرطاس

وجعلت الثلاثين خمسين درهماً ورددته كما كان وسلمته إليها فقالت: أي شيء خبر أبي؟ فقلت: سلامه. فقالت: قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلى الله تعالى؟ ....، أسألك بالله وبمن حججت إليه عن شيء فتصدقني؟ فقلت: نعم. فقالت: خلطت بهذه الدراهم شيئاً من عندك؟ فقلت: نعم فمن أين علمت بهذا؟ قالت: ما كان أبي يزيدني على الثلاثين شيئاً لأن حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العادة فلو أخبرتني بذلك ما أخذت منه أيضاً شيئاً.

ثم قالت لي خذ الجميع فقد عققتني من حيث قدرت أنك تبرني فقلت ولم؟ قالت لا آكل شيئاً ليس هو من كسبي ولا كسب أبي ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو شيئاً. فقلت: خذي منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردي الباقي. فقالت: لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيئاً وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل؛ لأن هذه كانت قوتي تلك السنة، فقد أجعتني، ولولا أنك ما قصدت أذاي لدعوت عليك.

قال: فاغتممت وعدت إلى البصرة وجئت إلى أبي الحسن فأخبرته واعتذرت إليه فقال: لا آخذها وقد اختلطت بغير مالي، وقد عققتني وإياها قال: فقلت: فما أعمل بالدراهم؟ فقال: لا أدري. فما زلت مدة أعتذر إليه وأسأله ما أعمل بالدراهم؟ فقال لي بعد مدة: تصدق بها. ففعلت.



ذكر المصطفيات من
عابدات مكة المجهولات الأسماء



٤٥ ـ جارية سوداء

عن المثنى بن الصباح قال: كان عطاء ومجاهد يختلفان إلى جارية سوداء في ناحيةِ مكة تبكيهما ثم يرجعان.





٤٦ ـ عابدة أخرى

عن مالك بن دينار قال: رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين. قال: فكان النساء يجئن فينظرن إليها. فأخذت في البكاء فقيل لها: تذهب عيناك. فقالت: إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسن من هاتين، وإن كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا. فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها، رحمها الله.





٤٧ ـ عابدة أخرى

عن أبي عبدالرحمن المغازلي قال: كانت حكيمة مجاورة بمكة فدخلنا

عليها ذات يوم، فقالت لها امرأة كانت تخدمها: إخوانك جاؤوك يحبون أن يسمعوا كلامك.

قال: فبكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت: إخوتي وقرة عيني مثّلوا القيامة نُصب أبصار قلوبكم وردوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالكم، فما ظننتم أنه يجوز في ذلك اليوم فارغبوا إلى السيد في قبوله وتمام النعمة فيه، وما خفتم أن يرد في ذلك اليوم عليكم فخذوا في إصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البدل، ولا يقدر على الفداء.

قال: ثم بكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت: إخوتي، وقرة عيني، إنما صلاح الأبدان وفسادها في حسن النية وسوئها. إخواني وقرة عيني، إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم إليه، ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك، ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله. إخواني وقرة عيني، كلّم الخوف قلوب أهله فاقتطعهم، والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات. إخوتي وقرة عيني، بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره، وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله، والله واسع كريم.

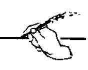




٤٨ ـ عابدة أخرى

عن ابن أبي رواد قال: كان عندنا امرأة بمكة تسبّح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة. فأتت، فلما بلغت القبر اختلست من أيدي الرجال، رحمها الله.





٤٩ ـ عابدة أخرى

عن ابن شوذب قال: كتب عبدة بن أبي لبابة إلى شريك ـ يقال له: الحسن بن الخزاز ـ: ادفع ثلاثمائة درهم إلى أحوج أهل بيت بمكة. فسأل

فدُل على أهل بيت فوقف بهم، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السمت فقال لها: بُعث إليَّ بثلاثمائة درهم وأمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة. فقالت المرأة: إن كنت أمرت بهذا فما نحن هم وما لنا فيها من حق، وأنا أعرف بيت أحوج منا.

فسألها، فدلّته عليهم، فأعطاهم الدراهم وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة فكتب عبدة أن أضعفْها أعطها ستمائة درهم.

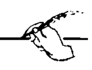
وقد ذكرنا نحو هذه الحكاية عن عابدة من أهل المدينة.

***

٥٠ ـ عابدة أخرى

عن أبي الحسن الرام، وكان من خيار الناس، قال: كانت امرأة بمكة يأتيها العبّاد فيتحدثون عندها ويتواعظون. فقالت لهم يوماً: حجبت قلوبكم الدنيا عن الله عزَّ وجلَّ، فلو جليتموها لجالت في ملكوت السموات ولأتتكم بطرف الفوائد.

***



٥١ ـ عابدة أخرى

عن صالح بن عبدالكريم قال: دُللت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد. فأتيتها وهي تتكلم. قال: فأحسنت حتى سكتت. قال: فصبرت حتى تفرق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت: لقد تكلمت ولقد خشيتُ عليك العجب، فقالت: إنما العجب من شيء هو منك فأما ما كان من غيرك ففيم العجب؟ ثم قالت:

وله خصائص مصطفون لحبه   اختارهم في سالف الأزمان

اختارهم من قبل فطرة خلقه   بودائع وبحكمة وبيان

ثم قالت: انهض إذا شئت.

***



٥٢ ـ عابدة أخرى

عن عبدالرحمن بن الحكم قال: كانت عجوز من قريش بمكة تأوي في سَرَب ليس لها بيت غيره، فقيل لها: أترضين بهذا؟ فقالت: أوَليس هذا لمن يموت كثيراً.

❋ ❋ ❋



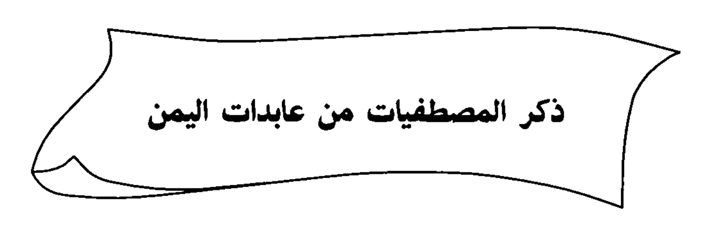
٥٣ ـ عابدة أخرى

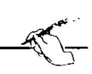
عن محمد بن بكار قال: كانت عندنا بمكة امرأة عابدة فكانت لا تمر بها ساعة إلا وهي صارخة. فقيل لها يوماً: إنا لنراك على حال ما نرى غيرك عليها فإن كان بك داء عالجناك.

قال: فبكت وقالت: من لي بعلاج هذا الداء؟ وهل أقرح قلبي إلا التفكر في نيل معالجته؟ أوَليس عجيباً أن أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي عزّ وجل مثل شعل النار التي لا تطفأ حتى أصير إلى الطبيب الذي عنده برء دائي وشفاء قلب قد أنضجه طول الأحزان في هذه الدار التي لا أجد فيها على البكاء مسعداً؟

انتهى ذكر أهل مكة.







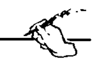
٥٤ ـ خنساء بنت خدام
وليست بالصحابية

عن حفص بن عمرو الجعفي قال: كان باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسناً وجمالاً كأنها بدنة، يقال لها: خنساء بنت خدام فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها، وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت حتى أقعدت من رجليها.

وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها. وكانت إذا جن عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادي بصوت لها حزين: يا حبيب المطيعين، إلى كم تحبس خدود المطيعين في التراب؟ ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها.

قال: فيسمع البكاء من الدور حولها.





٥٥ ـ سَويّة

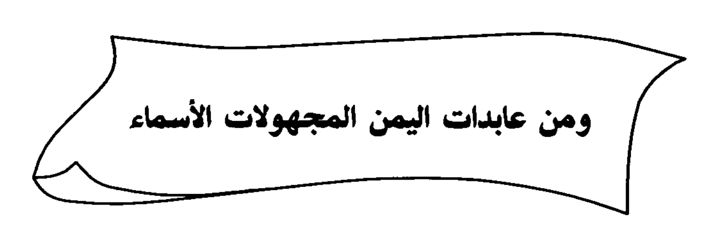
عن أبي هشام ـ رجل من قريش من بني عامر ـ قال: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سوية. فنزلت في بعض رباعنا، فكنت أسمع

لها من الليل نحيباً وشهيقاً. فقلت للجارية: أشرفي على هذه المرأة فانظري ما تصنع؟ فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها إلى السماء فقلت: ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء. فقلت: اسمعي ما تقول. قالت: لا أفهم كثيراً من قولها، غير أني أسمعها تقول:

أراك خلقت سوية من طينة لازبة غمرتها بنعمتك، تغذوها من حال إلى حال، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل، وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك، فلتة في إثر فلتة أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها؟ بلى وأنت على كل شيء قدير.

ثم صرخت وسقطت: ونزلت الجارية فأخبرتني بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فإذا هي قد ماتت.





ومن عابدات اليمن المجهولات الأسماء



٥٦ ـ عابدة

عن محمد بن سليمان القرشي قال: بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف في الطريق، في أذنيه قرطان، في كل قرط جوهرة، يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر. فسمعته يقول:

مليك في السماء به افتخاري ... عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه فسلمت عليه فقال: ما أنا براد عليك حتى تؤدي من حقي ما يجب لي عليك.

قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ﷺ[1] لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف.

فأجبته إلى ذلك فرحّب بي وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر. فلما قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه، فأجابته جارية من الخيمة: يا لبيكاه. فقال: قومي إلى ضيفنا. فقالت الجارية: حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف. فقامت فصلت ركعتين شكراً لله عزَّ وجلَّ.

(١) يقصد بقوله: «أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل» أي: بإكرام الضيف كما كان إبراهيم ﷺ مشهوراً بذلك، والله أعلم.

فأدخلني الخيمة وأجلسني. وأخذ الغلام الشفرة وأخذ عناقاً ليذبحها فلما جلست في الخيمة نظرت إلى أحسن النساء وجهاً، فكنت أسارقها النظر ففطنت لبعض لحظاتي إليها فقالت لي: مه أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب[1] ﷺ أن: «**زنى العينين النظر**[2]؟» أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك، ولكني أردت أن أؤدبك لكي لا تعود إلى مثل هذا.

فلما كان النوم بتّ أنا والغلام خارجاً وباتت الجارية في الخيمة، وكنت أسمع دوي القرآن الليل كله، بأحسن صوت يكون وأرقه. فلما أصبحت قلت للغلام: صوت من كان ذلك؟ فقال: تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح. فقلت: يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك، أنت رجل وهي امرأة. قال: فتبسم وقال لي: ويحك يا فتى أما علمت أنه موفق ومخذول؟

انتهى ذكر أهل اليمن.



(١) أي رسول الله ﷺ.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري: (٦٢٤٣) ومسلم: (٢٦٥٧) وأبو داود: (٢١٥٢) وأحمد: (٧٦٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذكر المصطفيات من عابدات بغداد



٥٧ ـ جوهرة العابدة البراثية

نزلت براثا مع زوجها أبي عبدالله البراثي.

حكيم بن جعفر قال: كانت جوهرة امرأة أبي عبدالله البراثي، جارية لبعض الملوك، ففتقت فخلعت الدنيا ولزمت أبا عبدالله البراثي، فتزوج بها وتعبدت.

أبو عبدالله البراثي قال: قالت لي جوهرة يوماً: يا أبا عبدالله: النساء يحلين في الجنة إذا دخلنها؟ قلت: نعم. قال: فصاحت صيحة غشي عليها. فلما أفاقت قلت: ما هذا الذي أصابك؟ قالت: ذكرت حالي تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة.

أبو عبدالله البراثي قال: رأت جوهرة في منامها خياماً مضروبة فقالت: لمن ضربت هذه الخيام؟ فقيل: للمتهجدين بالقرآن. فكانت بعد ذلك لا تنام.

عن أبي عبدالله البراثي قال: كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول: يا أبا عبدالله «كاروان رفث» معناه: قد سارت القافلة.

حكيم بن جعفر قال: كنا نأتي أبا عبدالله بن أبي جعفر الزاهد، وكان يسكن براثا، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها: جوهرة، وكان أبو عبدالله

يجلس على جلة خوص بحرانية، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبلة القبلة في بيت واحد.

قال: فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته. فقلنا: يا أبا عبدالله، ما فعلت بالجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت: أليس يقال في الحديث: «إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل بيني وبينك ستراً وأنت غداً في بطني؟» قال: قلت: نعم، قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها. فقمت والله فأخرجتها[1].

❋ ❋ ❋



٥٨ ـ زوجة أبي شعيب البراثي العابد

الجنيد بن محمد قال: كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثا في كوخ يتعبد فيه، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا، كانت ربيت في قصور الملوك، فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنت حاله، وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرد من الدنيا والاتصال بأبي شعيب.

فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون خادمة، فقال لها: إن أردت ذلك فغيري هيأتك، وتجردي عما أنت فيه حتى تصلحي لما أردت. فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النساك وحضرته فتزوجها.

فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف كانت مجلس أبي شعيب تقيه من الندى فقالت: ما أنا مقيمة فيه حتى تخرج ما تحتك؛ لأني سمعتك تقول: إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني؟ فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً.

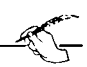
---

(١) أورد هذه القصة الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (١٤/٤٠٣).

فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى بها. فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين.

قال المؤلف: قد ذكرنا عن جوهرة العابدة مثل هذه الحكاية، وهذا قد اتفق لهاتين المرأتين، فلا نظن أن الحكايتين واحدة[1].

* * *



٥٩ ـ [أخوات بشر الحافي]

وهن ثلاث: مضغة، ومخة، وزبدة بنات الحارث وأكبرهن مضغة.

قال السلمي: أخوات بشر مخة، وزبدة، ومضغة.

وكانت زبدة تكنى أم علي.

وكانت «مضغة» أخت بشر أكبر منه، وماتت قبله، وقيل: لما ماتت مضغة توجع عليها بشر توجعاً شديداً وبكى بكاءً كثيراً، فقيل له في ذلك فقال: قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستي من الدنيا.

قال الخطيب: وذكر إبراهيم الحربي أن بشراً قال: هذا يوم ماتت أخته مخة، والله أعلم.

أبو عبدالله بن يوسف الجوهري قال: سمعت بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول: إن العبد إذا قصر في طاعة الله عزَّ وجلَّ سلبه من يؤنسه.

أبو عبدالله القحطبي قال: كان لبشر أخت صوامة قوامة.

---

(١) تاريخ بغداد: (١٤/٤١٨).

غيلان القصائدي قال: قال بشر بن الحارث: تعلمت الورع من أختي فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صنع[١].

عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: كنت مع أبي يوماً من الأيام في المنزل فدق داق الباب، فقال لي: أخرج فانظر من بالباب؟ فخرجت فإذا امرأة، فقالت لي: استأذن لي على أبي عبدالله. قال: فاستأذنته. قال: أدخلها.

قال: فدخلت فسلمت عليه وقالت له: يا أبا عبدالله، أنا امرأة أغزل بالليل في السراج فربما طفئ السراج فأغزل في القمر فعليّ أن أبين غزل القمر من غزل السراج؟ قال: فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك. قال: قالت: يا أبا عبدالله، أنين المريض شكوى؟ قال: أرجو ألا يكون، ولكنه اشتكاء إلى الله عزَّ وجلَّ.

قال: فودعته وخرجت. فقال: يا بني ما سمعت قط إنساناً يسأل عن مثل هذا. اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟ قال: فاتبعتها فإذا قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث، وإذا هي أخته.

قال: فرحت فقلت له، فقال: محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر[٢].

قال المصنف: قلت هذه المرأة التي سألت أحمد هي مخة، وقد نقلت عنها حكاية سميت فيها تشبه هذه الحكاية.

عبدالله بن أحمد بن حنبل ببغداد قال: جاءت مخة أخت بشر بن الحارث إلى أبي فقالت: إني امرأة رأس مالي دانقان، أشتري القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة، فمرَّ ابن طاهر الطائف ومعه مشعل، فوقف يكلم أصحاب المسالح فاستغنمت ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عني المشعل، فعلمت أن لله فيّ مطالبة، فخلصني

---

(١) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: (٣/٥١).

(٢) المقصد الأرشد: (٣/٥١) وتاريخ بغداد: (١٤/٤٣٦).

خلصك الله. فقال لها: تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه.

قال عبدالله: قلت لأبي: يا أبت لو قلت لها لو أخرجت الغزل الذي أدرجت فيه الطاقات؟ فقال: يا بني سؤالها لا يحتمل هذا التأويل. ثم قال: من هذه؟ قلت: مخة أخت بشر بن الحارث. فقال: من ها هنا أتيت.

قرأت بخط أبي علي الراذاني قال: كانت مخة من بين أخوات بشر تقصد أحمد بن حنبل وتسأله عن الورع والتقشف، وكان أحمد يعجب بمسائلها.

السلمي قال: قالت زبدة أخت بشر: أثقل شيء على العبد الذنوب، وأخفه عليه التوبة، فما له يدفع أثقل شيء بأخف شيء؟





٦٠ ـ امرأة عبدالله بن الفرج العابد

أبو بكر محمد بن الحسين الآجري قال: بلغني أن عبدالله بن الفرج لما مات لم تعلم زوجته إخوانه بموته، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في علته فغسلته وكفنته في كساء له وأخذت فرد باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدته بشريط ثم قالت لإخوانه: قد مات وقد فرغت من جهازه.

فدخلوا واحتملوه إلى قبره وأغلقت الباب خلفهم[١].





٦١ ـ ميمونة أخت إبراهيم ابن أحمد الخواص لأمه

كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم في الزهد والتقلل والورع والتوكل.

(١) تاريخ بغداد: (١٠/٤١).

أحمد بن سالم قال: دق داق باب إبراهيم الخواص، فقالت له أخته من تطلب؟ فقال: إبراهيم الخواص. فقالت: قد خرج. فقال: متى يرجع؟ فقالت: من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع(1)؟

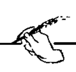
❋ ❋ ❋



٦٢ ـ مؤمنة بنت بهلول

عيسى بن إسحاق الأنصاري قال: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: ما النعيم إلا في الأنس بالله، والموافقة لتدبيره.

❋ ❋ ❋



٦٣ ـ أم عيسى بنت إبراهيم الحربي

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: ذكر لي أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي كانت فاضلة عالمة تفتي في الفقه، ودفنت إلى جنب أبيها إبراهيم، والسلام.

❋ ❋ ❋



٦٤ ـ أمة الواحد بنت القاضي أبي عبدالله الحسين بن إسماعيل المحاملي

أبو بكر البرقاني قال: كانت بنت المحاملي تفتي مع أبي عليّ بن أبي هريرة.

أبو الحسن الدارقطني قال: أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضي المحاملي سمعت أباها، وإسماعيل بن العباس الوراق،

(١) تاريخ بغداد: (١٤/٤٣٨).

وعبدالغافر بن سلامة الحمصي، وأبا الحسن المصري، وحمزة الهاشمي الإمام، وغيرهم.

وحفظت القرآن والفقه على مذهب الشافعي، والفرائض وحسابها والنحو، وغير ذلك من العلوم، وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة في الخيرات، وحدثت وكُتِبَ عنها الحديث.

وتوفيت في رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[1].



---

(١) تاريخ بغداد: (١٤/٤٤٢).

ذكر المصطفيات من العابدات البغداديات المجهولات الأسماء



٦٥ ـ عابدة

نوح الأسود قال: رأيت امرأة تأتي أبا عبدالله البراثي فتجلس تسمع كلامه، ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء. فقلت لها ذات يوم: لا أراك يرحمك الله تتكلمين ولا تسألين عن شيء؟ فقالت: قليل الكلام خير من كثيره، إلا ما كان من ذكر الله، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي: إن أردت الله بطاعة أرادك برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم إلا نفسك إذا صرت غداً في زمرة الخاسرين.

قال: ثم استبكت فقامت. وسمعتها تعظ ابنها يوماً وتقول:

ويحك يا بني، احذر بطالات الليل والنهار، فتنقضي مهلات الأعمار وأنت غير ناظر لنفسك، ولا مستعد لسفرك. ويحك يا بني، ما من الجنة عوض، ولا في ركوب المعاصي ثمن من حلول النار. ويحك يا بني مهد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجد قبل أن يجد الأمر بك، واحذر سطوات الدهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن، وتقلبها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقيّ كيف ينجو من مصائبها؟

ثم قالت: بؤساً لك يا بنيّ إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه.

* * *



٦٦ ـ عابدة أخرى

غيلان صاحب السري قال: كان لسري تلميذة وكان لها ولد عند المعلم في الكتّاب. فبعث به المعلم الرحى فنزل الصبي في الماء فغرق.

فجاء المعلم إلى سريّ فأخبره بذلك فقال سري: قوموا بنا فمضوا إلى أمه فجلس عندها وتكلم سري في علم الصبر إلى حد ما، ثم تكلم عليها في علم الرضا. فقالت له: يا أستاذي، وأي شيء تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق. فقالت: ابني؟ قال لها: نعم. فقالت: إن ربي عزَّ وجلَّ ما فعل هذا. ثم عاد سريّ في كلامه في الصبر، فقالت: قوموا بنا.

فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت: أين غرق؟ فقالوا: ههنا فصاحت: ابني محمد! فأجابها: لبيك يا أماه. فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها.

قال غيلان: فالتفت سري إلى الجنيد وقال: أي شيء هذا؟ فقال جنيد: أقول بمقال سري قال: إن المرأة مراعية لما لله عزَّ وجلَّ عليها، وحكم من كان مراعياً لما لله عزَّ وجلَّ عليه، ألا تحدث حالة حتى يعلم بذلك، فلما لم تكن حادثة تعلمها بذلك فأنكرت وقالت: إن ربي عزَّ وجلَّ ما فعل هذا.





٦٧ ـ عابدة أخرى

أبو الحسن البحراني صاحب إبراهيم الخواص قال: سألت امرأة من المتعبدات إبراهيم الخواص عن تغير وجدته في قلبها وتغير وجدته في

حالها، فقال لها: عليك بالتفقد. فقالت: قد تفقدت فما رأيت شيئاً. فأطرق الخواص ساعة ثم رفع رأسه وقال: أما تذكرين ليلة المشعل؟ فقالت: بلى. فقال: هذا التغير من ذلك.

فبكت وقالت: نعم كنت أغزل فوق السطح فانقطع خيطي، فمرّ مشعل للسلطان فغزلت في ضوئه خيطاً، ثم أدخلت ذلك الخيط في غزل، ونسجت منه قميصاً، ولبسته.

ثم قامت إلى ناحية فنزعت القميص، وقالت: يا إبراهيم، إن أنا بعته وتصدقت بثمنه يرجع قلبي إلى الصفاء؟ فقال: إن شاء الله تعالى ذلك.





٦٨ ـ عابدتان بغداديتان

بلغني أنه كان ببغداد رجل بزاز له ثروة. فبينا هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئاً تشتريه. فبينما هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك. فتحير وقال: قد والله تحيرت مما رأيت. فقالت: ما جئت لأشتري شيئاً، إنما لي أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلبي ولي مال، فهل لك في التزوج بي؟ فقال لها: لي ابنة عم، وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألا أغيرها، ولي منها ولد. فقالت: قد رضيت أن تجيء إليّ في الأسبوع نوبتين. فرضي، وقام معها فعقد العقد ومضى إلى منزلها فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده. ومضى فبات عندها. وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقي على هذا الحال ثمانية أشهر. فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري إلى أين يمضي؟ فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان فلما جاءت الظهر قام وتبعته الجارية وهو لا يدري، إلى أن دخل

بيت تلك المرأة. فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم لمن هذه الدار؟ فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز. فعادت إلى سيدتها فأخبرتها فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد. ولم تظهر لزوجها شيئاً.

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات وخلف ثمانية آلاف دينار فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة، وهو سبعة آلاف دينار، فأفردتها وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة وأعلميها أن الرجل مات، وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك وهذا حقك. وسلميه إليها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته وأعلمتها الحال، فكبت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك وسلمي عليها عني وأعلميها أن الرجل طلقني وكتب لي براءة، وردي عليها هذا المال فإني ما أستحق في تركته شيئاً.

فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث.

انتهى ذكر أهل بغداد.



ذكر المصطفيات من العابدات الكوفيات
ذكر المسميات منهن والمنسوبات



٦٩ ـ أم حسان الكوفية

كان سفيان وابن المبارك وغيرهما يزورونها.

عبدالله بن المبارك قال: ذكر سفيان الثوري امرأة بالكوفة يقال لها: أم حسان ذات اجتهاد وعبادة. فدخلنا بيتها فلم نر فيه شيئاً غير قطعة حصير خلق. فقال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني أعمامك فغيروا من سوء حالك. فقالت: يا سفيان، قد كنت في عيني أعظم وفي قلبي أكبر مذ ساعتك هذه، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها؛ فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ يا سفيان، والله ما أحب أن يأتي عليّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله. فأبكت سفيان.

قال عبدالله: فبلغني أن سفيان تزوج بها.

❋ ❋ ❋



٧٠ ـ أم الأسود بن يزيد

وكيع قال: حدثنا أبي عن منصور عن إبراهيم أن أم الأسود أقعدت من رجليها فجزعت ابنة لها فقالت: اللهم إن كان خيراً فزد.

❋ ❋ ❋



٧١ ـ أم مِسعر بن كدام[١]

محمد بن سعد قال: كانت لمسعر أم عابدة فكان يحمل لها لبداً ويمشي معها حتى يدخلها المسجد فيبسط لها اللبد فتقوم فتصلي ويتقدم هو إلى مقدم المسجد فيصلي ثم يقعد ويجتمع إليه من يريد فيحدثهم ثم ينصرف إليها فيحمل لبدها وينصرف معها.

❋ ❋ ❋



٧٢ ـ أم سفيان الثوري

قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت له: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك[٢].

❋ ❋ ❋



٧٣ ـ أم الحسن وعلي ابني صالح بن حي

عبدالله بن هاشم قال: سمعت وكيع بن الجراح يقول: كانت أم عليّ والحسن ابني صالح تقوم ثلث الليل.

عبدالله بن صالح قال: حدثني رجل من بني تميم أن أم الحسن وعلي ابني صالح كانت تبكي بالليل والنهار. قال: فرأيت حسناً بعد موته في المنام فقلت: ما فعلت الوالدة؟ قال: بدلت بطول ذلك البكاء سرور الأبد.

❋ ❋ ❋

(١) انظر «تذكرة الحفاظ»: (١/١٨٩).

(٢) تاريخ جرجان: (صفحة ٤٩٢).



٧٤ ـ أخت فضيل بن عبدالوهاب

قال محمد بن الحسين: حدثني فضيل بن عبدالوهاب قال: سمعت أختي يوماً تقول: الآخرة أقرب من الدنيا، وذلك أن الرجل يهم بطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك سفراً يكون فيه تعب بدنه وإنفاق ماله، ثم لعله أن لا ينال بغيته. والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته في حسن نيته حيث ما كان من غير أن ينشئ سفراً أو ينفق مالاً أو يتعب بدناً، ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله فإذا هو قد أدرك ما عند الله.

قال: وسمعتها تقول: ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادي بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان، فانظروا أي عبيد تكونون حينئذ؟ قال: ثم صرخت وغشي عليها.

قال فضيل: ما رأيت أحداً قط، رجلاً ولا امرأة، أطول حزناً منها.



ذكر المصطفيات من العابدات
الكوفيات مجهولات الأسماء

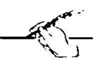


٧٥ ـ عابدة

مجرز أبو القاسم الجلاب قال: حدثني سعدان قال: أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم: فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهي سافرة. فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو قد ساء لك منكر ونكير؟

فصرخت صرخة فسقطت مغشياً عليها. فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق.

***



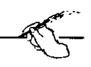
٧٦ ـ عابدة أخرى

عبدالله بن نافع قال: أتى الربيع بن خثيم في منامه فقيل: إن فلانة السوداء زوجتك في الجنة فلما أصبح سأل عنها فإذا هي ترعى أعنازاً لها. فقال: لأقيمن عندها فأنظر ما عملها؟

فأقام عندها ثلاثاً لا يراها تزيد على الفريضة، فإذا أمست جاءت إلى عنيزة لها فحلبت ثم شربت، ثم حلبت فسقته. فقال لها في اليوم الثالث: يا هذه لِمَ لا تسقيني من غير هذه العنز؟ قالت: يا عبدالله إنها ليست لي، قال: فلمَ تسقيني من هذه؟ قالت: إن هذه منحتها أشرب من لبنها وأسقي من شئت. قال: يا هذه فليس لك من العمل أكثر مما أرى؟ قالت: لا، إلا أني ما أصبحت على حال قط فتمنيت أني على حال سواها، رضا بما قسم الله لي، فقال: يا هذه علمت أني رأيت في المنام أنك زوجتي في الجنة. قالت له: أنت الربيع بن خيثم؟

قلت لعبدالله بن نافع: كيف علمت هذا؟ قال: لعلها أن تكون رأت في منامها مثل ما رأى.

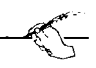
❊ ❊ ❊



٧٧ ـ عابدة أخرى

محمد بن يحيى بن أبي حاتم قال: حدثني عبدالملك بن شبيب عن رجل من ولد ابن أبي ليلى قال: دخلت عليّ امرأة وأنا أقرأ سورة هود. فقالت لي: يا عبدالرحمن، هكذا تقرأ سورة هود؟ والله إني لفيها منذ ستة أشهر ما فرغت من قراءتها.

❊ ❊ ❊



٧٨ ـ عابدة أخرى

الوضاح بن حسان الأنباري قال: حدثني رجل من أهل الكوفة قال: كانت امرأة من التيم مجتهدة في العبادة، فكانت تفطر في كل ثلاث مرة، ولا تخرج من مسجد الحي إلا لحاجة، فقال لها إبراهيم التيمي: صلاتك في بيتك أفضل من صلاتك في مسجد الحي، ففعلت فلزمت بيتها فلم تزدد إلا خيراً .

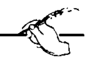
❊ ❊ ❊

٧٩ ـ عابدتان أختان

محمد بن قدامة قال: سمعت أبا بشر يقول: كانت جارة لمنصور بن المعتمر، وكان لها ابنتان لا تصعدان إلى السطح إلا بعد ما ينام الناس. فقالت إحداهما ذات ليلة: يا أمتاه ما فعلت القائمة التي كنت أراها في سطح فلان؟ فقالت: يا بنية لم تكن تلك قائمة، إنما كان ذاك منصور يحيي الليل كله في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع. فقالت يا أمتاه: بلغ به العبادة والفرق من النار هذا؟ فما فعل؟ قالت: مات ودفنوه. قالت: يا أمتاه انطلقي فاشتري لي مدرعة أتعبد فيها، فوالله لا يجمع رأسي ورأس رجل أبداً رجل لا ينام عشرين سنة فرقاً من النار.

قال: فاشترت لها مدرعة من شعر فدخلت البنت الأخرى معها في العبادة، فتعبدتا بعد ذلك عشرين سنة لا تنامان الليل ولا تفطران النهار.





٨٠ ـ عابدة أخرى

عن سفيان أنه ذكر يوماً امرأة من أهل الكوفة كانت تتعبد، فذكر عنها فضلاً. فقلت: أي شيء تحفظ من كلامها؟ قال: قالوا: إنها كانت تقول: لو نادى مناد من السماء ليمت أعظم الناس جرماً لرأيت نفسي أول نفس ذائقة للموت.

وكانت تقول: طول الأمل بطأ بي عن سبيل النجاة.

❊ ❊ ❊



٨١ ـ عابدة أخرى

عن ابن السماك قال: أذنب غلام امرأة من قريش ذنباً فسعت إليه بالسوط فلما قربت منه رمت بالسوط وقالت: ما تركت التقوى أحداً يشفي غيظه.

❊ ❊ ❊



٨٢ ـ عابدة أخرى

أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد بن الحسين قال: أخبرنا شهاب بن عباد قال: أخبرنا سويد بن عمرو الكلبي قال: كانت امرأة عابدة في غنى، فكانت لا تنام من الليل إلا يسيراً. فعوتبت في ذلك فقالت: كفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقاداً .

قال أبو بكر: وزادني في هذا الحديث عن محمد بن الحسين بإسناده هذا: وكانت تصوم في شدة الحر حتى يسود لونها ويتغير وجهها. فيقال لها في ذلك، فتقول: إنما أدور على طول الري والشبع في الآخرة.

وكانت قد بكت حتى اسود مجاري دموعها من وجهها، فكان يأتيها محمد بن النضر وأصحابه فيحادثها ساعة ثم تقول: قوموا فالحديث هناك يطيب، في دار لا هم فيها ولا موت ولا تعب.



ذكر المصطفيات من عاقلات المجانين المتعبدات الكوفيات



٨٣ ـ ميمونة السوداء

الفضيل بن عياض قال: قال عبدالواحد بن زيد: سألت الله عزَّ وجلَّ ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة. فرأيت كأن قائلاً يقول: يا عبدالواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء. فقلت: وأين هي؟ فقال: في آل بني فلان بالكوفة.

قال: فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل: هي مجنونة بين ظهرانينا ترعى غنيمات لنا، فقلت: أريد أن أراها. قالوا: اخرج إلى الجبان، فخرجت فإذا بها قائمة تصلي، وإذا بين يديها عكاز لها وعليها جبة من صوف، عليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى. وإذا الغنم مع الذئاب فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئاب.

فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ها هنا، إنما الموعد ثم. فقلت: رحمك الله ومن أعلمك أني ابن زيد؟ فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ فقلت لها: عظيني؟ فقالت: واعجباً لواعظ يوعظ ثم قالت: يا ابن زيد، إنك وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها، يا ابن زيد إنه بلغني أنه ما من عبد أعطى من الدنيا

شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة. ثم أنشأت تقول:

يا واعظاً قام لاحتساب	يزجر قوماً عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقاً	هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا	عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي	موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغيّ والتمادي	وأنت في النهي كالمريب

فقلت لها: إني أرى هذه الذئاب مع الغنم، فلا الغنم تفزع من الذئاب، ولا الذئاب تأكل الغنم، فأي شيء هذا؟ فقالت: إليك عني فإني أصحلت ما بيني وبين سيدي فأصلح بين الذئاب والغنم(١).

❋ ❋ ❋



٨٤ ـ بُخة

عن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل قال: كانت لي أخت أسن مني فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت فكانت في غرفة في أقصى سطوحنا. فمكثت بذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الطهور وتفقد الصلوات وربما غلبت على عقلها الأيام فتحفظ ذلك حتى تقضيه.

قال: فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب بيتي يدق في نصف الليل. فقلت: من هذا؟ قالت بُخّة، قلت، أختي؟ قالت: أختك. قلت: لبيك. وقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشر سنين، فقلت لها: يا أختاه خير. قالت: خير، أتيت الليلة في منامي فقيل لي: السلام عليك يا بُخة. فقلت: وعليك السلام. فقيل لي: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل لسلمة بن كهيل جدك، وحفظك لأبيك إسماعيل. فإن شئت

---

(١) حلية الأولياء: (٦/١٥٩).

دعوت الله لك فأذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعا لك إلى الله عزَّ وجلَّ بحب أبيك وجدك إياهما. فقلت: إن كان لا بد من أن أختار أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة، والله واسع لا يتعاظمه شيء، إن شاء الله أن يجمعهما لي فعل.

قالت: فقيل لي: قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومي فانزلي. فأذهب الله ما كان بها.

انتهى ذكر أهل الكوفة ولله الحمد.



ذكر المصطفيات من عابدات البصرة



٨٥ ـ معاذة بنت عبدالله العدوية

وتكنى أم الصهباء.

محمد بن فضيل قال: حدثنا أبي قال: كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت : هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم[(١)].

الحكم بن سنان الباهلي قال: حدثتني امرأة كانت تخدم معاذة العدوية قالت: كانت تحيي الليل صلاة، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: يا نفس، النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك في القبر على حسرة أو سرور. قالت: فهي كذلك حتى تصبح.

قال عبدالرحمن بن عمرو الباهلي: وحدثتنا دلال ابنة أبي المدل قالت: حدثتني آسية بنت عمرو العدوية قالت: كانت معاذة العدوية تصلي كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزءها من الليل تقوم به. وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.

الحسن بن علي بن مسلم الباهلي قال: سمعت أبا السوار العدوي

(١) الزهد لهناد: (١/٢٩١).

يقول: بنو عدي أشد أهل هذه البلدة اجتهاداً، هذا أبو الصهباء لا ينام ليله ولا يفطر نهاره، وهذه امرأته معاذة ابنة عبدالله لم ترفع رأسها إلى السماء أربعين عاماً.

عن زهير السلولي، عن رجل من بني عدي، عن امرأة منهم أرضعتها معاذة ابنة عبدالله قالت: قالت لي معاذة: يا بنية، كوني من لقاء الله عزَّ وجلَّ على حذر ورجاء، وإني رأيت الراجي له محقوقاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بكت حتى غلبها البكاء.

حماد بن سلمة قال: أنبأ ثابت البناني أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك. فحمل فقاتل حتى قُتل. ثم تقدم فقُتل فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحباً، إن كنتن جئتن لتهنئنني، فمرحباً بكن. وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن[1].

سلمة بن حسان العدوي قال: أنبأ الحسن أن معاذة لم توسد فراشاً بعد أبي الصهباء حتى ماتت.

عمران بن خالد قال: حدثتني أم الأسود بنت زيد العدوية، وكانت معاذة قد أرضعتها قالت: قالت لي معاذة لما قتل أبو الصهباء وقتل ولدها: والله يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عزَّ وجلَّ بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء، وولده في الجنة.

روح بن سلمة الوراق قال: سمعت عفيرة العابدة تقول: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت، فقيل لها:ممّ بكيت ثم ضحكت، فممّ البكاء وممّ الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك. وأما الذي رأيتم

---

(١) الزهد لابن أبي عاصم: (صفحة ٢٠٨).

من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً.

قال: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة.

أدركت معاذة عائشة وروت عنها. وروى عن معاذة الحسن البصري وأبو قلابة، ويزيد الرشك.

***



٨٦ ـ حفصة بنت سيرين

عن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به فنقول لها: رحمك الله قال الله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]. وهو الجلباب. قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] فتقول: هو إثبات الجلباب.

هشام بن حسان قال: كانت حفصة تقول لنا: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

قال: قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة وماتت وهي ابنة تسعين.

عن هشام أن حفصة كانت تدخل في مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها.

عن مهدي بن ميمون قال: مكثت حفصة في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة.

عن هشام أن ابن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء من القراءة قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ.

هشام بن حسان قال: كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف فيقشره ويأخذ القصب فيفلقه. قالت حفصة: وكنت أجد قرة فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مصلاي ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلق وقوداً لا يؤذي دخانه ويدفئني. نمكث بذلك ما شاء الله. قالت: وعند من يكفيه لو أراد ذلك.

قالت: وربما أردت أنصرف إليه فأقول: يا بني ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه.

قالت حفصة: فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت: فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: ٩٥ ـ ٩٦]. قالت: فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد.

قام هشام: وكانت له لقحة.. قالت حفصة: كان يبعث إليّ بحلبة بالغداة فأقول: يا بني إنك لتعلم أني لا أشربه، أنا صائمة. فيقول: يا أم الهذيل إن أطيب اللبن ما بات في ضروع الإبل، اسقيه من شئت.

عن هشام بن حسان قال: اشترت حفصة جارية أظنها سندية فقيل لها: كيف رأيت مولاتك؟ فذكر إبراهيم كلاماً بالفارسية تفسيره أنها امرأة صالحة إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً، فهي الليل كله تبكي وتصلي.

عبدالكريم بن معاوية قال: ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق.

عن هشام بن حسان قال: قد رأيت الحسن، وابن سيرين، وما رأيت أحداً أرى أنه أعقل من حفصة.

عن هشام عن حفصة قال: كان لها كفن معد فإذا حجت وأحرمت لبسته وكانت إذا كانت العشر الأواخر من رمضان قامت من الليل فلبسته.

عن هشام قال: حدثتني أم سليم بنت سيرين قالت: ربما نور لحفصة بنت سيرين بيتها.

عن هشام قال: كانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفئ السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح[1].

❋ ❋ ❋



٨٧ ـ كريمة بنت سيرين، أخت حفصة

عن مهدي بن ميمون قال: مكثت كريمة بنت سيرين أخت حفصة بنت سيرين خمس عشرة سنة ما تخرج من مصلاها إلا لقضاء حاجة.

❋ ❋ ❋



٨٨ ـ منيبة البصرية وابنتها

أبو عياش القطان قال: كانت امرأة بالبصرة متعبدة يقال لها: منيبة، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها. فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حداثتها.

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آت فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت. فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت. فقال لها يا حبيبتي ما يبكيك؟ قالت له: يا أبا سعيد التراب يحثى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي. يا أبا سعيد انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفّنها بكفن حسن، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال بكائي، كيف وأنا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها وبيت الظلمة والدود؟

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٣/١٦٤).

٨٩ ـ رابعة العدوية[1]

عبدالله بن عيسى قال: دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت.

ودخلت عليها وهي جالسة على قطعة بوري خلق فتلكم رجل عندها بشيء فجعلت أسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا.

مسمع بن عاصم ورياح القيسي قالا: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك. فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أني أستحيي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟

محمد بن عمرو قال: دخلت على رابعة وكانت عجوزاً كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشن، تكاد تسقط. ورأيت في بيتها كراخة بواري، ومشجب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين، وستر البيت جلد وربما كان بورياً، وحبّ وكوز ولبد هو فراشها وهو مصلاها. وكان لها مشجب من قصب عليه أكفانها وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة.

وقال لها رجل: ادعي، فالتصقت بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله؟ أطع ربك وادعه فإنه يجيب المضطرين.

سجف بن منظور قال: دخلت على رابعة وهي ساجدة فلما أحسّت بمكاني رفعت رأسها، فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من

(١) انظر في أخبار رابعة رحمها الله: تاريخ بغداد: (٢/٤٠) وشعب الإيمان: (٧/١٧) وكرامات الأولياء: (صفحة ٢٢٨).

دموعها. فسلمت فأقبلت عليّ فقالت: يا بني، ألك حاجة؟ فقلت: جئت لأسلم عليك، قال: فبكت وقالت: سترك اللهم سترك ودعت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت.

العباس بن الوليد قال: قالت رابعة: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي، أستغفر الله.

أزهر بن مروان قال: دخل على رابعة رياح القيسي، وصالح بن عبدالجليل وكلاب، فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم. قالوا: ومن أين توهمت علينا؟ قالت: إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

روى أبو جعفر المديني، عن شيخ من قريش قال: قيل لرابعة: هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافتي أن يرد عليَّ.

جعفر بن سليمان قال: أخذ بيدي سفيان الثوري وقال: مر بنا إلى المؤدبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها. فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال: اللهم إني أسألك السلامة فبكت رابعة. فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أنت عرضتني للبكاء. فقال: وكيف؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها؟

وقال الثوري بين يدي رابعة: واحزناه، فقالت: لا تكذب. قل: واقلة حزناه، لو كنت محزوناً ما هناك العيش.

جعفر بن سليمان قال: سمعت رابعة تقول لسفيان: إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم، فاعمل.

عبيس بن مرحوم العطار قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال، وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة. قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت. فلما حضرتها الوفاة دعتني قالت: يا عبدة لا تؤذني بموتي أحداً، وكفنيني في جبتي هذه، جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه. فقلت: يا رابعة، ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نزع عني وأبدلت به هذا الذي ترينه عليّ. وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا من كرامة الله عزَّ وجلَّ لأوليائه. قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت: قلت: وبم وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلت: فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغماً. قالت: يزور الله متى شاء. قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أعطى والله فوق ما كان يأمل.

قالت: قلت فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ. قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

قلت: اقتصرت ها هنا على هذا القدر من أخبار رابعة لأني قد أفردت لها كتاباً جمعت فيه كلامها وأخبارها.





٩٠ ـ عجردة العمية

رجاء بن مسلم العبدي قال: كنا نكون عند عجردة العمية في الدار. قال: فكانت تحيي الليل صلاة. وربما قال: تقوم من أول الليل إلى

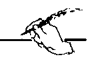
السحر. فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلٰهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم. ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

عبدالرحمن بن عمرو الباهلي قال: حدثتني دلال بنت أبي المدل قالت: حدثتني أمي آمنة بنت يعلى بن سهيل قالت: كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين. قالت: فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلي إلى السحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر.

قالت: فقلت لها، أو قال لها بعض أهل الدار: لو نمت من الليل شيئاً. فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام.

جعفر بن سليمان قال: حدثني بعض نسائي، أمي أو غيرها من أهلي قالت: رأيت عجردة العمية في يوم عيد عليها جبة صوف، وقناع صوف، وكساء صوف. قالت: فنظرت فإذا هي جلد وعظم. قالت: وسمعتهم يذكرون عنها أنها لم تفطر ستين عاماً.





٩١ ـ حبيبة العدوية

عن عبدالله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها. فقالت: إلٰهي، غارت النجوم، ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهني أم رددتها عليه فأعزي، فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبداً ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا وقع قلبي في غير جودك وكرمك.

* * *

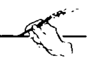


٩٢ ـ أم الأسود بنت زيد العدوية

أبو عبدالرحمن السلمي قال: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود. وقالت أم الأسود: قالت لي معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالاً لعلك أن توفقي لخدمة سيدك والرضا بقضائه.

فكانت أم الأسود تقول: ما أكلت شبهة إلا فاتتني فريضة أو ورد من أورادي.





٩٣ ـ مريم البصرية

كانت تخدم رابعة العدوية، وكانت إذا سمعت علوم المحبة طاشت فحضرت بعض المذكرين فتكلم في المحبة. فماتت في المجلس.

عبدالعزيز بن عمير قال: قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]. ثم لم تجزْهُ حتى أصبحت.

وقالت مريم: ما اهتممت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].



٩٤ ـ عفيرة العابدة[1]

روح بن سلمة الوراق قال لعفيرة العابدة: بلغني أنك لا تنامين بالليل، فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟ قال: فأبكتني والله، وقلت في نفسي: أراني في شيء وأراك في شيء.

يحيى بن بسطام قال: دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة، وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت. فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه: ما أشد العمى على من كان بصيراً. فسمعت عفيرة فقالت له: يا عبدالله عمى القلب، والله، عند الله أشد من عمى العين عن الدنيا، والله وددت أن الله وهب لي كُنْهَ محبته وأنه لم تبق مني جارحة إلا أخذها.

عبدالوهاب بن صالح قال: سمعت محمد بن عبيد يقول: دخلنا على امرأة بالبصرة يقال لها: عفيرة، فقيل لها: يا عفيرة، ادعي الله لنا. فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم. ولكن المحسن أمر المسيء بالدعاء، جعل الله قراكم من بيتي الجنة، وجعل الموت مني ومنكم على بال.

مالك بن ضيغم قال: سمعت عفيرة تقول: عصيتك بكل جارحة مني على حدتها، والله لئن أعنت لأطيعنك ما استطعت بكل جارحة عصيتك بها.

قال محمد بن الحسين: وحدثني سعيد العمى قال: قلت لعفيرة: أما تسأمين من طول البكاء؟ قال: فبكت ثم قالت: يا بني، كيف يسأم ذو داء من شيء يرجو أن له فيه من دائه شفاء؟ قال: ثم بكت. فقمت فخرجت وتركتها.

بلغني عن يحيى بن راشد أنه قال: كنا عند عفيرة العابدة فقدم ابن أخ لها كانت طالت غيبته فبشرت به فبكت فقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم

---

(١) انظر حلية الأولياء: (٦/٢١٨).

فرح وسرور، فازدادت بكاء ثم قالت: والله ما أجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة، ولقد أذكرني قدومه يوم القدوم على الله، فمن بين مسرور ومثبور، ثم غشي عليها.

***



٩٥ ـ عبيدة بنت أبي كلاب

شعيب بن محرز قال: حدثتني سلامة العابدة قالت: بكت عبيدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرها[١].

عن يحيى بن بسطام الأصغر قال: حدثني سلمة الأفقم، وكان ينزل الطفاوة، قال: قلت لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ قالت: الموت. قلت: ولِمَ؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة[٢].

عبدالعزيز بن سلمان قال: اختلفت عبيدة وأبي إلى مالك بن دينار عشرين سنة. قال أبي: فما سمعتها تسأل مالكاً عن شيء قط إلا مرة، قالت: يا أبا يحيى متى يبلغ المتقي الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة؟ قال مالك: بخ بخ يا عبيدة إذا بلغ المتقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحب إليه من القدوم على الله. قال: فصرخت عبيدة صرخة سقطت مغشياً عليها.

داود بن المحبر قال: سمعت البراء الغنوي يقول ـ يوم ماتت عبيدة بنت أبي كلاب ـ: ما خلفت بالبصرة أفضل منها.

عبدالله بن رشيد السعدي، وكان قد صحب عبدالواحد بن زيد، قال: رأيت الشيوخ والشباب والرجال والنساء من المتعبدين فما رأيت امرأةً ولا

---

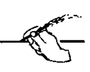
(١) شعب الإيمان: (١/٥١٨).

(٢) المصدر السابق.

رجلاً أفضل ولا أحسن عقلاً من عبيدة بنت أبي كلاب.

عبيس بن مرحوم قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال قالت: رأيت رابعة في المنام فقلت: ما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قلت: وبمَ وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على ما أصبحت من الدنيا أو أمست.

❋ ❋ ❋

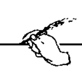


٩٦ ـ عمرة امرأة حبيب العجمي

الحسين بن عبدالرحمن قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد وانتبهت ليلة وهو نائم، فأنبهته في السحر وقالت له: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

مسلم بن إبراهيم قال: سمعت سهيلاً أخا حزم قال: كانت لحبيب أبي محمد امرأة يقال لها: عمرة، فاشتكت عينها فقيل لها: كيف تجدينك؟ قالت: وجع قلبي أشد من وجع عيني.





٩٧ ـ بردة الصريمية

كانت إذا قيل لها: كيف أصبحت؟ تقول: أصبحنا أضيافاً مُنْتجعين بأرض غربة ننتظر إجابة الداعي.

أشرس أبو شيبان، وكان عابداً من البكّائين، عن ثابت البناني أن امرأة من الصدر الأول كان يقال لها: بردة، وكانت تكثر البكاء حتى فسد بصرها. فقيل لها: اتقي الله، أما تخافين على بصرك أن يذهب؟ قالت: دعوني فإن أكن من أهل النار فأبعدني الله وأبعد بصري، وإن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله عينين خيراً من عيني.

عن موسى بن سعيد، أو غيره، قال: قيل للحسن: يا أبا سعيد إن هاهنا امرأة يقال لها: بردة قد فسدت عيناها من البكاء، فدخل عليها فقال لها: يا بردة إن لبدنك عليك حقاً، وإن لبصرك عليك حقاً. قالت: يا أبا سعيد إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصراً خيراً من بصري، وإن أكن من أهل النار فأبعد الله بصري.

عن عطاء بن المبارك قال: كانت بالبصرة امرأة جليلة متعبدة يقال لها: بردة وكانت تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين: هدأت العيون وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه وقد خلوت بك يا محبوبي، أفتراك تعذبني وحبك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

قال القرشي: وقال محمد بن الحسين: حدثني شاذ بن فياض قال: حدثني رجل أدرك الحسن قال: كانت امرأة في زمن الحسن إذا سمعت القرآن صرخت، فربما تكلمت بما لا تريد. فقيل لها في ذلك، فقالت: ربما سمعت القرآن فأرى ملك بني مروان قد حوى لي. وكانت تبكي حتى يرحمها من رآها.

وذكر محمد بن الحسين أن الحميدي حدثه قال: ذكر سفيان يوماً بردة فقال: رحمها الله ما كان ها هنا من أولئك النساء المجاورات أشد اجتهاداً منها، بكت حتى ذهب بصرها.

قال سفيان: كانت إذا سمعت صوت الصواعق صرخت ولم تزل تصيح حتى يغشى عليها.





٩٨ ـ أم طلق

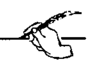
محمد بن سنان الباهلي قال: سمعت شعبة بن دخان يذكر أن أم طلق كانت تصلي في كل يوم وليلة أربعمائة ركعة، وتقرأ من القرآن ما شاء الله.

شيبة بن الأرقم قال: سمعت عاصماً الجحدريّ يقول: كانت أم طلق تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً.

عن سفيان بن عيينة قال: قالت أم طلق لطلق: ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة. فبكى حتى غشي عليه.

عن سلمة الأيهم قال: سمعت عاصماً الجحدري يقول: كانت أم طلق تقول: النفس ملك إن اتبعتها ومملوك إن أتعبتها.

* * *



٩٩ ـ أمة الجليل بنت عمرو العدوية

أبو بكر بن عبيد قال: قرأت في كتاب محمد بن الجسين بخطه: حدثني حليم بن جعفر قال: حدثني مسمع بن عاصم قال: اختلف العابدون عندنا في الولاية، فقال بعضهم: إذا استحقها عبد لم يهم بشيء إلا ناله، في دين كان أو دنيا. وقال الآخر: الولي لا يعصي، غير أنه لا يدرك الشيء الذي يريده من الدنيا بهمته ولا يدركه إلا بطلبه، كأنهم يقولون: يدعو فيجاب. وقال آخرون: المستحق للولاية لا يعرض لانتقاص حقه من الآخرة.

فتكلموا في ذلك بكلام كثير فأجمعوا على أن يأتوا امرأة من بني عدي يقال لها: أمة الجليل بنت عمرو العدوية، وكانت منقطعة جداً من طول الاجتهاد. فأتوها. قال مسمع: وأنا يومئذٍ مع أصحابنا فاستأذنوا عليها، فأذنت، فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا. فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا للولي في الدنيا حاجة. ثم أقبلت على كلاب فقالت: بنفسي أنت يا كلاب من حدثك أو أخبرك أن وليه له هم غيره فلا تصدقه.

قال مسمع: فما كنت أسمع إلا الصارخ من نواحي البيت.

* * *



١٠٠ ـ أم حيان السلمية

عن أبي خلدة قال: ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية، إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً.

مكي البصري قال: حدثتني سوادة السلمية قالت: كانت أم حيان تقرأ القرآن في كل يوم وليلة، وكانت لا تتكلم إلا بعد العصر فإنها تأمر بالحاجة والشيء تريده.





١٠١ ـ أم إبراهيم العابدة

عبدالمؤمن بن عبدالله القيسي قال: ضربت أم إبراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها فأتاها قوم يعزونها، فقالت: لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس[(١)].

أبو موسى الشواء قال: كنت مع أم إبراهيم العابدة. فلما صرنا عند الجمار رأت الناس قد أقبلوا على الشراء والبيع، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: حبيبي أقبلوا على الدنيا وتركوك. قال: ثم صاحت واجتمع الناس فغطيتها بثوبي. ثم قلت للناس: أصابها شيء وأوهمتهم أن بها علة. قال: ثم أقمت عليها حتى أفاقت فرفعت رأسها فقلت لها: يا أم إبراهيم أي شيء هذه الشهرة؟ فقالت: يا بطال إذا كان هو يقسم الثناء فلمن يتصنع؟





١٠٢ ـ بحرية العابدة

رباح بن أبي الجراح قال: رأيت بحرية العابدة تبكي وتقول: تركتك

---

(١) انظر فيض القدير: (٦/٢٧٣).

وأنا رطبة، وأتيتك وأنا حشفة فاقبل الحشفة على ما كان منها.

وكان بها مسحة من جمال، وكان الجوع قد أضر بها ومكثت أربعين يوماً لم تأكل فيها شيئاً إلا شيئاً من حمص، وكانت مجتهدة وكان لها مجلس تذكر فيه، وكانت إذا تكلمت اضطربت واقشعرت.

أحمد بن أبي الحواري قال: حدثتني عجوز من أهل البصرة قالت: سمعت بحرية تقول: إذا ترك القلب الشهوات ألف العلم واتبعه واحتمل كل ما يرد عليه.

❋ ❋ ❋



١٠٣ ـ أم الحريش

رباح بن الجراح قال: رأيت أم الحريش، وكانت من عباد الناس، وابتليت بزوج من الجند، فكانت لا تأكل من طعامه، تعد لنفسها شيئاً تأكله، وكان ربما لم يقبل منها حتى تأكل معه، فكانت تقعد تريه أنها تأكل فتضع أصابعها خارج القصعة.

❋ ❋ ❋



١٠٤ ـ حسنة العابدة

عن محمد بن قدامة قال: بلغنا أن امرأة كان يقال لها: حسنة تركت نعيم الدنيا فأقبلت على العبادة، فكانت تصوم النهار، وتحيي الليل وليس في بيتها شيء، كلما عطشت خرجت إلى النهر فشربت بكفيها.

وكانت جميلة، فقالت لها امرأة: تزوجي. فقالت: هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً وما أظنك تقدرين عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي ويبكيني، ويصوم ويأمرني، ويتصدق ويحضني عليها، فبها ونعمت، وإلا فعلى الرجال السلام.



١٠٥ ـ زجلة العابدة مولاة معاوية

أحمد بن سهل الأزدي قال: دخل على زجلة العابدة نفر من القراء فكلموها في الرفق بنفسها فقالت: ما لي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً. والله يا إخوتاه لأصلين له ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي. ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟

عباد بن عباد، أبو عتبة الخواص، قال: دخلنا على زجلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت، وبكت حتى عمشت، وصلت حتى أقعدت، وكانت صلاتها قاعدة. فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو، أردنا أن نهون عليها الأمر هناك. فشهقت ثم قالت: علمي بنفسي قرح فؤادي، وكَلَم قلبي. والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئاً مذكوراً. ثم أقبلت على صلاتها وتركناها فخرجنا من عندها.

كليب بن عيسى بن أبي حجير قال: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين.

قال كليب: وسمعت سعيد بن عبدالعزيز يقول: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة.

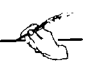




١٠٦ ـ غضنة وعالية

أبو الوليد العبدي قال: ربما رأيت غضنة وعالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف في ركعة.

❋ ❋ ❋



١٠٧ ـ مطيعة العابدة

محمد بن الحسين قال: حدثني صاحب لي من البصريين قال: بكت مطيعة أربعين عاماً، فعوقبت على كثرة البكاء، فقالت: لا أزال أبكي حتى أعلم على أي الحالين أنا عند الله؟

محمد بن الحسين قال: دخلنا على مطيعة العابدة في الجبان بالبصرة فجعلنا نذاكرها شيئاً في الخير فلا نستبين كثيراً من كلامها، من كثرة بكائها، فلما رأينا ذلك خرجنا من عندها وتركناها.

قال محمد: وسألت مطيعة قلت: منذ كم أنت ها هنا في الجبان؟ فبكت ثم قالت: يا بني منذ أربع وخمسين سنة.

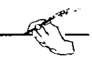
❋ ❋ ❋



١٠٨ ـ كردويه بنت عمرو البصرية

أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين قال: كانت كردويه تخدم شعوانة. فقيل لها: ما الذي أصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها، ولا اهتممت لرزقي، ولا عظم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استصغرت أحداً من المسلمين قط.

❋ ❋ ❋



١٠٩ ـ راهبة

عثمان بن سودة الطفاوي، وكانت أمه من العابدات يقال لها: راهبة، قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري.

قال: فماتت. فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور.

قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي فقلت: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بني إن للموت لكربة شديدة وأنا بحمد الله لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور. فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قالت: لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من عند أهلك، يقال لي: يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائراً لك فأسر بذلك ويسر بذلك من حولي من الأموات.

❊ ❊ ❊



١١٠ ـ سلمى

خلف بن الوليد الجوهري قال: قالت سلمى، امرأة بصرية: إلهي علمي بشدة عقوبتك ونكالك قطع عني لذاذة الدنيا ونعيمها، ومعرفتي بسعة رحمتك وسعت عليّ خلقي فيما بيني وبين عبادك.

❊ ❊ ❊



١١١ ـ مسكينة الطفاوية

إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عمار الراهب، وكان والله من العاملين لله في دار الدنيا، قال: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي، وكانت من المواظبات على حلق الذكر، فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً. فقالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة وجاء الغني الأكبر. قلت: هيه. قالت: ما تسأل عمن أبيح الجنة بحذافيرها يظل منها حيث يشاء. قال: قلت: وبم ذاك يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحق[١]. قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأبلة، تنحدر من البصرة حتى

(١) فيض القدير: (٥/٥١٩).

تأتيه قاصدة. قال عمار: قلت: مسكينة ما فعل عيسى؟ فضجت ثم قالت: كسى حلة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخدام، ثم حلى وقيل: يا قارئ ارق فلعمري لقد برأك الصيام، وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته.

❊ ❊ ❊



١١٢ ـ غنضكة

عن يوسف بن بهلول قال: كانت امرأة بالبصرة يقال لها: غنضكة العابدة تصلي عامة الليل، ثم تقول: أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فإذا قضت صلاتها قالت: هذا الجهد مني وعليك التكلان.



ذكر المصطفيات
من عابدات البصرة المعروفات بغيرهن



١١٣ ـ امرأة أبي عمران الجوني

عويد بن أبي عمران الجوني قال: كانت أمي تقوم من الليل تصلي حتى تعصب ساقيها بالخرق فيقول لها أبو عمران الجوني: دون هذا يا هذه، فتقول هذا عند طول القيام في الموقف قليل فيسكت عنها.





١١٤ ـ امرأة رياح القيسي

أبو يوسف البزاز قال: تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها. فلما أصبح قامت إلى عجينها. فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا. فقالت: إنما تزوجت رياحاً القيسي، ولم أرني تزوجت جباراً عنيداً . فلما كان الليل نام ليختبرها. فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح. فقال: أقوم. فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح. فقال: أقوم. فلم يقم. فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح. فقال: أقوم. فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعري من غرني بك يا رياح. قال: وقامت الربع الباقي.

عبدالله بن الحارث قال: زوج شميط بن العجلان رياحاً القيسي امرأة. فبينا هو قاعد معها إذ نظرت إلى السماء فشهقت شهقة فخرت مغشياً عليها.

وقال رياح: اغتممت مرة في شيء من أمر الدنيا. فقالت: أراك تغتم لأمر الدنيا غرني منكم شميط. ثم أخذت هدبة من مقنعتها. فقالت: الدنيا أهون عليّ من هذه.

عن سيار قال: حدثني رياح قال: ذكرت لي امرأة فتزوجتها، فكانت إذا صلّت العشاء الآخرة تطيبت وتدخنت، ولبست ثيابها ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة؟ فإن قلت: نعم كانت معي، وإن قلت: لا قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح. قال رياح: ففحّتني والله.

❋ ❋ ❋



١١٥ ـ ابنة أم حسان الأسدية

عن سفيان الثوري قال: دخلت عليّ بنت حسان الأسدية وفي جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود. فقلت لها: يا ابنة أم حسان ألا تأتين عبدالله بن شهاب بن عبدالله؟ فلو رفعت إليه رقعة فلعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحاجة التي أراها بك. فدعت بمعجر فاعتجرت به وقالت: يا سفيان قد كان لك في قلبي رجحان كثير فقد أذهب الله برجحانك من قلبي، يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها؟

قال سفيان: وكان إذا جنّ عليها الليل دخلت محراباً لها وأغلقت عليها ثم نادت: إلٰهي خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سخن يسخن من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار.

قال سفيان: فدخلت عليها بعد ثلاث فإذا الجوع قد أثر في وجهها.

فقلت لها: يا بنت أم حسان إنك لن تؤتي أكثر مما أوتي موسى والخضر عليهما السلام، إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها.

فقالت يا سفيان قل: الحمد لله. فقلت: الحمد لله. فقالت: اعترفت له بالشكر؟ قلت: نعم. قالت: وجب عليك من معرفة الشكر شكر وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبداً.

قال سفيان: فقصر، والله علمي وفَهَّ لساني فوليت أريد الخروج. فقالت: يا سفيان كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله. اعلم أنه لن تنقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها في الله هماً واحداً.

قال سفيان فقصرت إليّ والله نفسي[1].

❊ ❊ ❊

١١٦ ـ مملوكة لإبراهيم النخعي

أبو الأحوص، عن مغيرة أو غيره، قال: كانت مولاة لإبراهيم تعمد إلى اليوم الشديد الحر فتصومه. فقيل لها: إنك تعمدين إلى أشد الأيام حراً فتصومينه؟ فقالت: إن السعر إذا رخص اشتراه كل واحد.

❊ ❊ ❊



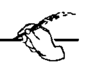
١١٧ ـ جارية عبيدالله بن الحسن العنبري قاضي البصرة

عبدالله بن الحسن القاضي العنبري قال: كانت عندي جارية أعجمية وضيئة، وكنت بها معجباً. فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي فانتبهت فلم أجدها. فالتمستها فإذا هي ساجدة تقول: بحبك لي اغفر لي. فقلت: يا

(١) حلية الأولياء: (٩/٧).

جارية لا تقولي بحبك لي، قولي: بحبي لك اغفر لي. فقالت: يا بطال، حبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، فأيقظ عيني وأنام عينك. فقلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله. قالت: يا مولاي أسأت إليّ، كان لي أجران فصار لي أجر واحد(١).

❊ ❊ ❊



١١٨ ـ جارية خالد الوراق

بلغنا عن خالد الوراق أنه قال: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل. فبكت ثم قالت يا خالد إني لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثاً لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط. وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهداً أبداً، ولو حبا المجد حبواً. أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رفعت أعلام المحسنين وجاز الصراط المشتاقون ووصل إلى الله المحبون وخلفت مع المسيئين المذنبين؟ ثم بكت وقالت: يا خالد انظر لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة، فويل لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون؟

❊ ❊ ❊



١١٩ ـ الماوردية

ذكر أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن في تاريخه قال: كانت

---

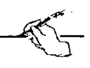
(١) تاريخ بغداد: (١٠/٣٠٩) وحلية الأولياء: (١٠/١٧٣).

عجوز صالحة زاهدة بالبصرة تعرف بالماوردية قاربت ثمانين سنة، بقيت خمسين سنة لم تفطر ولم تنم بالليل، ولم تأكل خبزاً ولا رطباً ولا تمراً وإنما تطحن لها باقلاً وتخبز لها خبزاً تقتات به، وتأكل التين اليابس دون الرطب، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير، وكانت تكتب وتقرأ وتعظ النسوان، وكانت كثيرة الخير والبركة.

وتوفيت يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة ست وستين وأربعمائة وتبع جنازتها أكثر الناس. ودفنت خارج البلد عند قبور الصالحين.



ذكر المصطفيات
من عابدات البصرة المجهولات



١٢٠ ـ عابدة

عن يعلى بن حكيم قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت ولا أحرص عليه من أهل البصرة، ولقد رأيت جارية منهم ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة فجعلت تدعو وتبكي وتتضرع حتى ماتت.





١٢١ ـ عابدة أخرى

عون بن أبي عمارة البصري قال: قال أبو محرز الطفاوي: شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب عليّ وأنا شاب فقالت لي: يا بني استعن بعز القناعة عن ذل المطالب، فكثيراً والله ما رأيت القليل عاد سليماً.

قال أبو محرز: ما زلت بعد أعرف بركة كلامها في قنوعي.



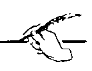


١٢٢ ـ عابدة أخرى

عن عبدالواحد قال: أتينا امرأة متعبدة في ناحية البصرة لنسلم عليها

فقيل لنا: لا تصلون إليها: قلنا: ولـمَ ذاك؟ قالوا: قد غلقت عليها الباب منذ ثلاث تبكي. قلنا: ولمَ ذاك؟ قالوا: قتلت نملة.

❊ ❊ ❊



١٢٣ ـ عابدة أخرى

عن سعيد بن عطارد قال: ذكرت لي امرأة بالبصرة متعبدة فأتيتها فوجدتها تصلي فانصرفت. فقالت: ما اسمك؟ فقلت: سعيد. قالت: يا سعيد، كل شيء شغلك عن الله فهو عليك مشوم. ثم أقبلت على صلاتها وتركتني.

❊ ❊ ❊



١٢٤ ـ عابدة أخرى

عليّ بن الحسن قال: كانت امرأة بالبصرة تقول لقلبها: فقدتك من قلب، ما أنساك! أصبحت لعظمة الله ناسياً. إلٰهي كيف لي بالقرب منك غداً وقاسي القلب منك بعيد؟

❊ ❊ ❊



١٢٥ ـ عابدة أخرى

عن صالح بن عبدالكريم قال: رأيت امرأة سوداء بالبصرة والناس مجتمعون عليها، ثم قامت فدخلت داراً فدخلوا معها وأحدقوا بها، فدنوت منها فقلت: يا هذه أما تخافين العجب؟ فرفعت رأسها فنظرت إليّ ثم قالت: كيف يعجب بعمله من لا يدري لعله قد رد عليه؟

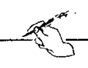
❊ ❊ ❊



١٣٦ ـ عابدة أخرى

الحسين بن جعفر قال: سمعت أبي قال: صليت العيد في الجبان ثم انفردت فإذا أنا بعجوز رافعة يديها وهي تقول: انصرف الناس ولم أشعر قلبي اليأس، يا صاحب الصدقة ها أنا ذا منصرفة، فليت شعري ما زودتني؟ رب ارحم ضعفي وكبر سني، خرجت أرجوك فلا تخيب حسن ظني بك. وهي تبكي فما انتفعت بنفسي يومي.

❊ ❊ ❊



١٣٧ ـ عابدة أخرى

حماد بن سلمة قال: خرجت في ليلة ظلماء ذات برد وريح ومطر ومعي شوي، قلت: أقسمه في جيراني. قال: فإذا أنا بامرأة قد خرجت وهي تقول: يا رفيق أرفق بنا.

قال: قلت: ما لك رحمك الله؟ قالت: يا حماد إنه دخل هذا المطر على يتامى تحت فرشهم فقلت: يا رفيق أرفق بنا، فدخلت فوجدته أيبس مما كان. فقلت هاك رحمك الله هذا الشيء فأنفقيه على نفسك وعلى أيتامك. فقالت: إليك عني يا حماد فإني إنما أسأل أجود الأجودين.

عفان بن مسلم قال: قال لي حماد بن سلمة: ألح المطر علينا سنة من السنين وفي جواري امرأة من المتعبدات، لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهم فسمعتها تقول: يا رفيق أرفق بي. فسكن المطر، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها. فقالت: اجْعَلْهُ حماد بن سلمة. فقلت: أنا حماد، سمعتك وقد تأذيت بالمطر فقلت: يا رفيق أرفق بنا، فما بلغ من رفقه بك؟ فقالت: سكن المطر وأدفأ الصبيان وجفف البيت.

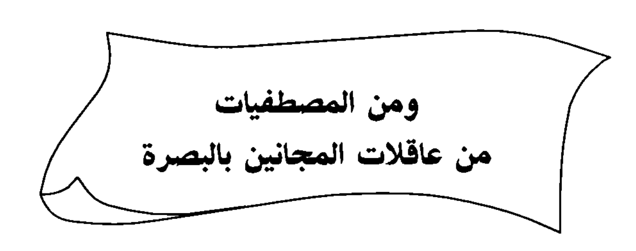
قال: فأخرجت الدنانير وقلت: انتفعي بهذه. فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها، قد خرجت عليّ وقالت: ألا تسكت يا حماد،

تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا؟ ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا من بابه [و] ألصقت خدها بالتراب ثم قالت: أما أنا وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني. ثم قالت: يا حماد رد عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذي أخرجتها منه فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين.

عن عبيدالله بن محمد القرشي قال: كانت امرأة من عباد أهل البصرة، وكان لها أولاد فأصابها مطر في بعض الليل فوكف عليها البيت، فجعلت تنقل أولادها من موضع إلى موضع، فلا يزداد الوكف إلا شدة. فلما أذلقها ذلك قالت: يا رفيق أرفق بي.

قال: فما أصابها من ذلك المطر قطرة واحدة.







١٢٨ ـ جارية

عن عبدالواحد قال: قال عتبة الغلام: خرجت من البصرة فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعوا، وإذا أنا بخيمة، وفي الخيمة جارية مجنونة عليها جبة صوف عليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى. فدنوت فسلمت عليها فلم ترد عليّ السلام، ثم وليت. فسمعتها تقول:

زهد الزاهدون والعابدونا	إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين القريحة فيه	فمضى ليلهم وهم ساهرونا
حيرتهم محبة الله حتى	علم الناس أن فيهم جنونا
هم ألبا ذوو عقول ولكن	قد شجاهم جميع ما يعرفونا

قال: فدنوت إليها قلت: لمن الزرع؟ فقالت: لنا إن سلم.

فتركتها وأتيت بعض الأخبية فأرخت السماء كأفواه القرب. فقلت: والله لآتينها فأنظر قصتها في هذا المطر، فإذا أنا بالزرع قد غرق وإذا هي قائمة وهي تقول: والذي أسكن قلبي من طرف صفاء مودة محبته إن قلبي ليوقن منك بالرضا. ثم التفتت إليّ فقالت: يا هذا إنه زرعه فأنبته وأقامه فَسَنْبَلَهُ وركبه فشققه وأرسل عليه غيثاً متغطمطاً فسقاه، وأطلع عليه فحفظه

فلما دنا حصاده أهلكه. ثم رفعت رأسها نحو السماء فقالت: العباد عبادك، وأرزاقهم عليك، فاصنع ما شئت. فقلت لها: كيف صبرك؟ فقالت: اسكت يا عتبة:

إن إلٰهي لغني حميد ... في كل يوم منه رزق جديد
الحمد لله الذي لم يزل ... يفعل بي أكثر مما أريد

قال عتبة: فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجتني.

انتهى ذكر أهل البصرة.



ذكر المصطفيات من عابدات الأبلة

١٢٩ ـ شعوانة[1]

معاذ بن الفضل، أبو عون، قال: بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى، فقلنا لها في ذلك، فقالت: أعمى والله في الدنيا من البكاء أحب إليّ من أن أعمى في الآخرة من النار.

مالك بن ضيغم قال: كان رجل من أهل الأبلة يأتي أبي كثيراً فيذكر له شعوانة وكثرة بكائها فقال له أبي يوماً: صف لي بكاءها؟

فقال: يا أبا مالك أصف لك، هي والله تبكي الليل والنهار لا تكاد تفتر. قال: ليس عن هذا أسألك، كيف تبتدئ بالبكاء؟ قال: نعم يا أبا مالك، تسمع الشيء من الذكر فترى الدموع تنحدر من جفونها كالقطر. قال: فمجاري الدموع من المآق الذي على الأنف أكثر أم مؤخر العين مما يلي الصدغ؟ قال: يا أبا مالك إن دموعها أكثر من أن يعرف هذا من هذا، ما هي إلا أن تسمع الذكر فتجيء عيناها بأربع نجوماً متبادرة جداً.

فبكى أبي وقال: ما أرى الخوف إلا قد أحرق قلبها كله، ثم قال: كان يقال: إن كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى، والقليل من التذكرة يحزنه.

قال مالك بن ضيغم: وقال لي أبي يوماً انطلق مع «منبوذ» حتى تأتي

(١) انظر تاريخ بغداد: (١١٢/٩).

هذه المرأة الصالحة فتنظر إليها، يعني شعوانة، فانطلقت أنا وأبو همام إلى الأبلة ثم غدونا عليها فدخلنا فسلم عليها منبوذ وقال: هذا ابن أخيك ضيغم. فرحبت بي وتحفت وقالت: مرحباً بابن من لم نره ونحن نحبه، أما والله يا بني إني لمشتاقة إلى أبيك وما يمنعني من إتيانه إلا أني أخاف أن أشغله عن خدمة سيده، وخدمة سيده أولى به من محادثة شعوانة.

قال: ثم قالت: ومن شعوانة؟ وما شعوانة؟ أمة سوداء عاصية.

قال: ثم أخذت في البكاء فلم تزل تبكي حتى خرجنا وتركناها.

يحيى بن بسطام قال: كنت أشهد مجلس شعوانة كثيراً فكنت أرى ما تصنع بنفسها، فقلت لصاحب لي يقال له: عمران بن مسلم: لو أتيناها إذا خلت. قال: فانطلقنا أنا وهو إلى الأبلة فاستأذنا عليها فأذنت لنا فإذا منزل رث الهيئة أثر الجدب عليه بيّن. فقال لها صاحبي: لو رفقت بنفسك فقصرت عن هذا البكاء شيئاً كان أقوى لك على ما تريدين. قال: فبكت ثم قالت: والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي، ثم أبكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، وأنى لي البكاء؟ قال: فلم تزل تردد ذلك حتى انقلبت حدقتاها. ثم مالت ساقطة مغشياً عليها. فقمنا فخرجنا وتركناها على تلك الحال.

روح بن سلمة قال: قال لي مضر: ما رأيت أحداً أقوى على كثرة البكاء من شعوانة، ولا سمعت صوتاً قط أحرق لقلوب الخائفين من صوتها، إذا هي نشجت ثم نادت: يا موتى وبني الموتى وإخوة الموتى.

قال محمد: وقلت لأبي عمر الضرير: أتيت شعوانة؟ قال: قد شهدت مجلسها مراراً ما كنت أفهم ما تقول من كثرة بكائها. قلت: فهل تحفظ من كلامها شيئاً؟ قال: ما حفظت من كلامها شيئاً أذكره الساعة إلا شيئاً واحداً. قلت: وما هو؟ قال: سمعتها تقول: من استطاع منكم أن يبكي فليبك وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه.

عن الحارث بن المغيرة قال: كانت شعوانة تنوح بهذين البيتين:

يؤمل دنيا لتبقى له ... فوافى المنية قبل الأمل

حثيثاً يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

الحسن بن يحيى قال: كانت شعوانة تردد هذا البيت فتبكي وتُبكي النّساك معها، تقول:

لقد أمن المغرور دار مقامه ويوشك يوماً أن يخاف كما أمن

عن فضيل بن عياض قال: قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألتها أن تدعو بدعاء، فقالت: يا فضيل أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟ قال: فشهق الفضيل وخر مغشياً عليه[1].

عن محمد بن عبدالعزيز بن سلمان قال: كانت شعوانة قد كمدت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة فأتاها آت في منامها فقال:

أذري جفونك إما كنت شاجية إن النياحة قد تشفي الحزينينا

جدي وقومي وصومي الدهر دائبة فإنما الدوب من فعل المطيعينا

فأصبحت فأخذت في الترنم والبكاء وراجعت العمل.

إبراهيم بن عبدالملك قال: قدمت شعوانة وزوجها مكة فجعلا يطوفان، فإذا أكلا أو أعيا جلس وجلست خلفه فيقول هو في جلوسه: أنا العطشان من حبك لا أروى. وتقول هي بالفارسية: أنبت لكل داء دواء في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت. رضي الله عنها.

❊ ❊ ❊

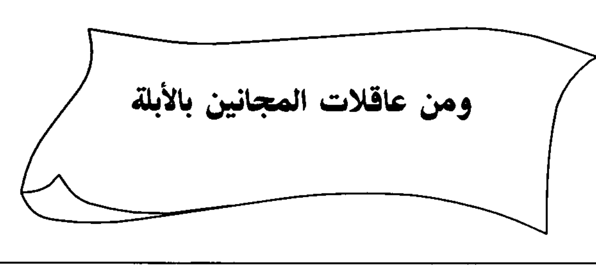


١٣٠ ـ خشة الأبلية

يعقوب بن محمد قال: قالت خشة الأبلية: إن الذنوب أقل في جودك من أن لا تغفرها، فمن ثم خلا قلبي من الذنوب لمحبتك. رضي الله عنها.

---

(١) حلية الأولياء: (٨/١١٣).



١٣١ ـ ريحانة[1]

أبو القاسم بن سعيد قال: سمعت صالحاً المري يقول: رأيت ريحانة المجنونة فَسَلَّمْتُ عليها فقالت لي: يا صالح اسمع:

بوجهك لا تعذبني فإني ... أؤمل أن أفوز بخير دار
وأنت مجاور الأبرار فيها ... ولولا أنت ما طاب المزار

عن الربيع قال: بت أنا ومحمد بن المنكدر، وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالأبلة، فقامت أول الليل وهي تقول:

قام المحب إلى المؤمل قومة ... كاد الفؤاد من السرور يطير

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضاً:

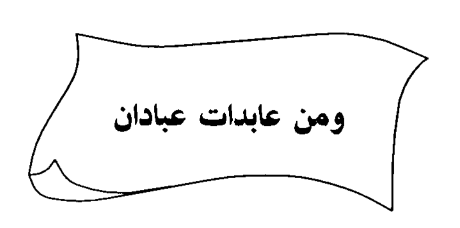
لا تأنسن بمن توحشك نظرته ... فتمنعن من التذكار في الظلم
واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن ... يسقيك كأس وداد العز والكرم

قال: ثم نادت: واحرباه واسلباه. فقلت: مم ذا؟ فقالت:

ذهب الظلام بأنسه وبألفه ... ليت الظلام بأنسه يتجدد

انتهى ذكر أهل الأبلة رضي الله عنهم.

(١) انظر شعب الإيمان: (٣٧٥، ١/٣٧٦).





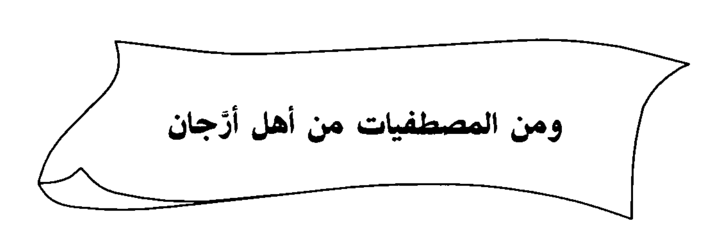
١٣٢ ـ عابدة

صالح بن عبدالله قال: خرجنا إلى عبادان منذ نحو من ستين سنة، فلما صرنا عند الجبل في بعض تلك السكك ومعنا قارئ لنا فقرأ فإذا امرأة على سطح فصرخت ثم سقطت من السطح فحملت فأدخلت داراً ثم ما برحنا حتى ماتت.

قال: ونودي في أهل البصرة فما رأيت يوماً أحسن ولا أكثر جمعاً من ذلك اليوم.

انتهى ذكر أهل عبادان.





١٣٣ ـ عابدة

عبد ربه الخواص قال: كانت بأرجان امرأة فارسية تقول: يا مولاي تدبرت حكمتك في خلقك فإذا العدل منك يقصمهم، ثم رجعت بعد إلى معرفتي بسعة رحمتك فعلمت أن عفوك يسعهم، مولاي أخرت الخاطئين فلم تعجل عليهم بالعقوبة فلقد أطمعهم حسن إنظارك لهم في حسن عفوك عن جرائم الخاطئين، وما يمنعهم من ذلك وقد تقدم إلى الأمم إحسانك قبل ذلك؟

قال: وكانت تنوح على نحو هذا الكلام وتبكي رضي الله عنها.



ذكر المصطفيات من عابدات البحرين



١٣٤ ـ منيفة بنت أبي طارق

مسمع بن عاصم المسمعي قال: كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها: منيفة، فكانت إذا هجم الليل عليها قالت: بخ بخ يا نفس قد جاء سرور المؤمن، فتتحزم وتلبس وتقوم إلى محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هي في صلاة حتى ينادى بالعصر، فإذا صلت العصر هجعت إلى غروب الشمس هذا دأبها، قيل لها: لو جعلت هذه النومة في الليل كان أهدأ لبدنك، فقالت: لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا.

قال أبو سفيان فحدثني رجل من أهلها قال: فمكثت كذلك أربعين سنة ثم ماتت.

قال أبو سفيان: فحدثني رجل من البحرين يقال له: عامر بن مليك قال: رأيت منيفة بعد موتها في منامي فقلت: يا منيفة، ما حال الناس هناك؟ فأقبلت عليّ وقالت: عن أي حالهم تسأل؟ الدار واحدة لأهل الطاعة يتعالون فيها بالأعمال، ولا تسأل عن حال أهل النار. قال: فبكيت والله من قولها لا تسأل عن حال أهل النار. ثم وليت فأتبعتني صوتاً: يا عامر عليك بالجد والاجتهاد لعلك أن تجري في مساعي السابقين غداً. قال عامر: فمرضت والله من هذه الرؤيا شهراً.

قال أبو سيار: وحدثني عامر بن مليك البحراني عن أمه قالت: بت ذات ليلة عند منيفة ابنة أبي طارق فما زادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره ترددها وتبكي، وتقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

***



١٣٥ ـ ماجدة القرشية

(١)المنهال بن يحيى البصري قال: حدثني إياس بن حمزة، رجل من أهل البحرين، قال: قالت امرأة من قريش يقال لها: ماجدة، كانت تسكن البحرين: طوى أملي طلوع الشمس وغروبها، فما من حركة تسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت في أثرها.

وكانت تقول: سكان دار أوذنوا بالنقلة، وهم حيارى يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم، أو التأذين ليس لهم والمعني بالأمر سواهم، آه من عقول ما أنقصها، ومن جهالة ما أتمها بؤساً لأهل المعاصي ماذا غروا به من الإمهال والاستدراج.

وكانت تقول: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال خفت عليهم الأعمال.

وكانت تقول: لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان لله والقيام لله بحقه في المنشط والمكره.

وكانت تقول: كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلاً .

وكانت تقول: لو رأت أعين الزاهدين ثواب ما أعد الله لأهل الإعراض عن الدنيا لذابت أنفسهم شوقاً إلى الموت لينالوا من ذلك ما أملوه من تفضله تعالى رضي الله عنها.

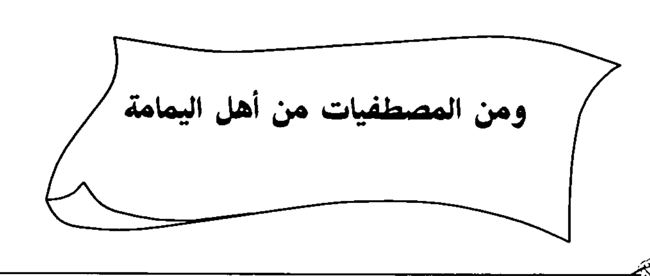
ذكر المصطفيات من عابدات البحرين المجهولات الأسماء



١٣٦ ـ عابدة

عن عبدالواحد بن زيد قال: رأيت امرأة بالبحرين تنشج على الآخرة نشيجاً، كلما نشجت نشجة قلت: نفسها خارجة معها، قال: فحرصت على أن أجاريها شيئاً من الخير فلم أقدر على ذلك فكان أول ما حفظت عنها وآخره أن قالت: تشاغل أيها المرء بنفسك، فوالله ما هممت قط بموعظة أعظ بها غيري إلا حال تقصيري فيما بيني وبين ذلك، ولئن كان المرء لا يعظ أحداً حتى يتعظ، لقد أمكن إبليس من نفسه يقوده حيث يشاء، والله ما أنا بحامدة لنفسي في ذلك ولود إبليس أنه قدر على ذلك من جميع الخلق كما قدر عليه مني، فلم يكن أحد يحض على طاعة الله ولكن مر أيها المرء بالبر وإن لم تستطعه، واحذر أن تنهى عن الشر وتأتيه.





١٣٧ ـ عابدة من البحرين أو اليمامة

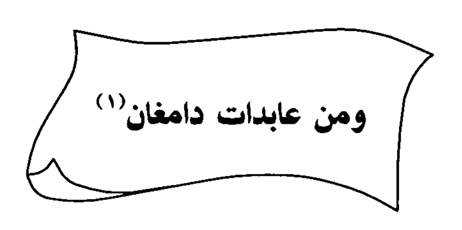
عن ابن يسار يعني مسلماً قال: قدمت البحرين أو اليمامة في تجارة، فإذا أنا بالناس مقبلين ومدبرين نحو منزل، فقصدت إليه فإذا أنا بامرأة جالسة في مصلى لها عليها ثياب غليظة، وإذا هي كئيبة محزونة قليلة الكلام، وإذا كل ما رأيت ولدها وخولها وعبيدها والناس إليهم بالبياعات والتجارات. فقضيت حاجتي ثم أتيتها فودعتها فقالت: حاجتنا إليك أن تأتينا إن عدت إلينا لحاجة فتنزل بنا حاجتك. قال: فانصرفت فلبثت حيناً ثم إني توجهت إلى بلدها في حاجة فلما قدمتها لم أر دون منزلها شيئاً مما كنت رأيت فأتيت منزلها فلم أر أحداً.

فأتيت فاستفتحت فإذا أنا بضحك امرأة وكلامها ففُتح لي، فدخلت فإذا بها جالسة في بيت وإذا عليها ثياب حسنة رقيقة وإذا الضحك الذي سمعت ضحكها وكلامها، وإذا امرأة معها في بيتها فقط، فاستنكرت وقلت: لقد رأيتك على حالين فيهما عجب: حالك في قدمتي الأولى وحالك هذه! قالت: لا تعجب فإن الذي رأيت من حالي الأولى أني كنت فيما رأيت من الخير والسعة، وكنت لا أصاب بمصيبة في ولد ولا في خول ولا مال ولا أوجه في تجارة إلا سلمت، ولا يبتاع لي شيء إلا أربح فيه فتخوفت أن لا يكون لي عند الله عزَّ وجلَّ خير، فكنت مكتئبة لذلك، وقلت: لو كان لي عند الله خير ابتلاني. فتوالت عليّ المصائب في ولدي الذي رأيت وخولي

ومالي، فما بقي لي منه شيء، ورجوت أن يكون الله عزَّ وجلَّ قد أراد بي خيراً فابتلاني، وذكرني ففرحت لذلك وطابت نفسي.

قال: فانصرفت فلقيت عبدالله بن عمر فأخبرته خبرها فقال: أرى والله هذه ما فاتها أيوب النبي ﷺ إلا بقليل، لكني قد تخرق مطرفي هذا، أو كلمة نحوها، فأمرت به أن يصلح فلم يعمل كما كنت أريد فأحزنني ذلك.

انتهى ذكر أهل البحرين.



ومن عابدات دامغان[1]



١٣٨ ـ فاطمة بنت عمران

كانت كثيرة الاجتهاد.

الحسن بن علي قال: قدم علينا أبو محمد الرملي فلقي فاطمة. فقال: هذه زاهدة وقتها وكانت مستجابة الدعوة، مقيمة على تعهد الفقراء إلى أن ماتت.

---

(١) جاء في معجم البلدان (٢/٤٣٣): «دامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور، قال مسعر بن مهلهل: الدامغان مدينة كثيرة الفواكه وفاكهتها نهاية، والرياح لا تنقطع بها ليلاً ولا نهاراً... قال: وهناك قرية تُعرف بقرية الجمالين فيها عين تنبع دماً لا يشك فيه لأنه جامع لأوصاف الدم كلها، إذا ألقي فيه الزيبق صار لوقته حجراً يابساً صلباً متفنناً، وتعرف هذه القرية أيضاً بغنجان وبالدامغان...» ا.هـ.

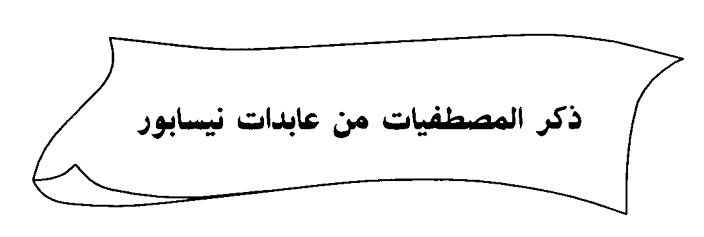
وأمر هذه العين التي تنبع دماً أمر غريب، ولعل فيه شبهاً بقصة الدم الذي كان يفور ببيت المقدس أو في دمشق ـ بحسب اختلاف الروايات ـ وهو دم نبي الله يحيى سلام الله عليه المقتول ظلماً، فقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/٤٣) من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رواية ملخصها «أن نبي الله عيسى بعث يحيى بن زكريا مع الحواريين يعلمون الناس، فنهاهم عن الزواج من ابنة الأخ، وكان لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها، فلما علمت أمها أن نبي الله يحيى نهى عن زواج ابنة الأخ، أوحت لها أن تطلب من الملك أن يذبح يحيى سلام الله عليه، فذبحه بطست، ووقعت قطرة من دمه على الأرض، فظلت تفور مكانها حتى بعث الله بختنصر عليهم، فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم حتى يسكن، فلم يسكن الدم حتى قتل منهم سبعين ألفاً». =

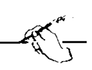
. . . .

= والعجيب أن راوي هذا الحديث عن ابن عباس ـ وهو سعيد بن جبير ـ قُتِل بقطع رأسه، وظل دمه ينزف كثيراً بشكل غير عادي، حتى فزع قاتله الحجاج، الذي قتله بعد أن وقف بوجهه وقال الحق. ورفض أن يتنازل عن شيء من دينه. وقال سعيد قبل أن يقتل: «إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة».

وجاءت الروايات أيضاً أن الحجاج لم يعش بعد سعيد إلا خمسة عشر يوماً.

نسأل الله تعالى أن يسلم أيدينا من دماء المسلمين وألسنتنا من أعراضهم. (انظر الروايات السابقة في سير أعلام النبلاء: ٣٣٢ ـ ٤/٣٤٠، وقد ذكر الذهبي أن الحجاج له توحيد لله في الجملة وله حسنات بالرغم من سيئاته الكثيرة).





١٣٩ ـ فاطمة النيسابورية

محمد بن الحسن بن علي بن خلف قال: سمعت ابن ملوك وكان شيخاً كبيراً رأى ذا النون المصري قال: وسألته من أجل من رأيت ؟ قال: ما رأيت أجلّ من امرأة رأيتها بمكة يقال لها: فاطمة النيسابورية، وكانت تتكلم في فهم القرآن، وتعجبت منها، فسألت ذا النون عنها فقال لي: هي ولية من أولياء الله عزَّ وجلَّ، وهي أستاذي. فسمعتها تقول: من لم يكن الله عزَّ وجلَّ منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص.

قال: وقالت فاطمة: الصادق المقرب في بحر تضطرب عليه أمواج، يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة.

وقالت فاطمة: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص.

قال السلمي: كانت فاطمة النيسابورية من قدماء نساء خراسان أتى إليها أبو يزيد البسطامي، وسألها ذو النون عن مسائل، وكانت مجاورة بمكة، وربما دخلت إلى بيت المقدس ثم رجعت إلى مكة.

وقال أبو يزيد البسطامي: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة، والمرأة فاطمة النيسابورية، ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عياناً.

وقال لها ذو النون: عظيني، وقد اجتمعا ببيت المقدس، قالت له: الزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك.

ماتت فاطمة بمكة في طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

* * *



١٤٠ ـ عائشة بنت أبي عثمان سعيد ابن إسماعيل النميري النيسابوري

أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي قال: كانت عائشة بنت أبي عثمان من أزهد أولاد أبي عثمان، وأورعهم وأحسنهم حالاً ووقتاً. وكانت مجابة الدعوة، سمعت ابنتها أم أحمد بنت عائشة تقول: قالت لي أمي: لا تفرحي بفان، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عزَّ وجلَّ، واجزعي من سقوطك من عين الله عزَّ وجلَّ.

وسمعتها تقول: قالت لي أمي: الزمي الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً ولا أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً.

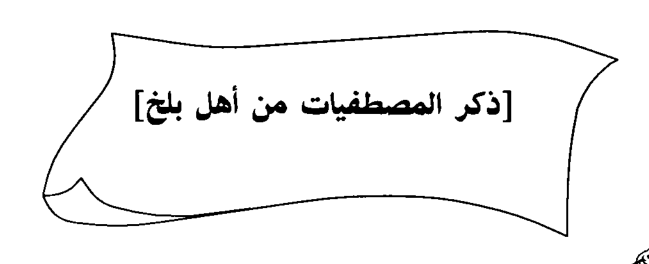
وقالت عائشة: من استوحش من وحدته فذاك لقلة أنسه بربه.

وقالت: من تهاون بالعبد فهو من قلة معرفته بالسيد فمن أحب الصانع أحب صنعته.

ماتت عائشة سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

انتهى ذكر أهل نيسابور بحمد الله ومنّه.





١٤١ ـ عابدة بلخية (رضي اللّه عنها)

أبو بلال الأسود قال: خرجت حاجاً، فلما صرت في بعض الطريق إذا أنا بامرأة ليس معها زاد ولا إداوة. فقلت لها: من أين أنتِ؟ قالت: من بلخ. فقلت لها: ما أرى معك زاداً ولا ما تحملين فيه الزاد فقالت لي: خرج معي من بلخ عشرة دراهم وقد بقي بعضها، فقلت لها: إذا نفدت ما تصنعين؟ فقالت: عليّ هذه الجبة أبيعها وآخذ دونها وأنفق ما بين ذلك. قلت: إذا فني ما تصنعين؟ قالت: أبيع هذا الخمار وآخذ دونه وأنفق ما بين ذلك. قلت: فإذا فني ما تصنعين؟ قالت: يا بطال أسأله فيعطيني. قلت: ألا سألته قبل ذلك؟ قالت: ويحك إني أستحيي أن أسأله شيئاً من الدنيا ومعي فضل من عرضها. قلت: أعقبي على هذا الحمار عقبة. فقالت: دعه. فتركته معها وتخلفت لحاجة. فلما قضيت حاجتي أسرعت في أثرها فإذا أنا بالحمار واقف والخرج مملوء فرآني حواري لم أر بحسنه فطلبتها بعد ذلك فما رأيتها.

انتهى ذكر أهل بلخ بحمد الله ومنّه.



ذكر المصطفيات من عابدات الموصل



١٤٢ ـ ألوف الموصلية

أبو سليمان قال: خطب رجل امرأة من أهل الموصل يقال لها: ألوف فقالت للرسول: قل له ما يسرني أنك لي عبد وجميع ما تملكه لي، وأنك شغلتني عن الله عزَّ وجلَّ طرفة عين.





١٤٣ ـ رقية

عبيدالله بن عمر بن عبيدالله المعمري قال: أنبأ جدي قال: سمعت فتحاً الموصلي يقول: سمعت امرأة متعبدة عندنا تقول: إلٰهي وسيدي ومولاي لو أنك عذبتني بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب، ولو نعمتني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك في قلبي أكثر.

قلت: هذه العابدة هي رقية.

منصور بن محمد قال: قالت رقية الموصلية: إني لأحب ربي حباً شديداً فلو أمر بي إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبه، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه؛ لأن حبه هو الغالب عليّ.

محمد بن كثير المصيصي قال: قالت رقية العابدة، وكانت بالموصل:

حرام على قلب فيه رهبانية المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان، شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عزَّ وجلَّ ولو تركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطرف الفوائد.

وكانت تقول: تفقهوا في مذاهب الإخلاص ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على القلاص.

❋ ❋ ❋



١٤٤ ـ أمية بنت أبي المورع

أبو الوليد، رياح بن أبي الجراح العبدي، قال: ما رأيت قط مثل أمية بنت أبي المورع الموصلية، وكانت من الخائفين، وكانت إذا ذكرت النار قالت: أدخلوا النار، وأكلوا من النار، وشربوا من النار، وعاشوا؟ ثم تبكي، وكان بكاؤها أطول من ذلك، وكانت كأنها حبة على مقلى، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت دماً وما رأيت أحداً أشد خوفاً ولا أكثر بكاءً منها.

❋ ❋ ❋



١٤٥ ـ موافقة ويقال: موفقة

أبو عبدالله الحصري قال: سمعت فتحاً الموصلي يقول: مرت بي امرأة متعبدة يقال لها: مُوافقة، فعثرت فسقط ظفر إبهامها، فضحكت، فقيل لها: يا موافقة يسقط إبهامك وتضحكين؟ فقالت: إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

عبدالله بن حبيق قال: مرت بفتح الموصلي امرأة يقال لها: موفقة، فعثرت فسقط ظفر إبهامها فضحكت، فقيل لها: يا موفقة سقط ظفر إبهامك وتضحكين؟ فقالت: والله إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وقد روي أن هذه القصة جرت لامرأة فتح الموصلي.

قال زيد بن أبي الزرقاء: عثرت امرأة فتح الموصلي فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها فأين ما تجدينه من حرارة الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه[1].

***



١٤٦ ـ راهبة الموصلية

أحمد بن أبي الحواري قال: حدثتني امرأتي رابعة قالت: دخلت على أخت لي عاتق بالموصل، فقالت لي: هل تدرين ما معنى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؟ [الشعراء: ٨٩] قالت: قلت لا، قالت: القلب السليم الذي يلقى الله عزَّ وجلَّ وليس فيه شيء غير الله عزَّ وجلَّ.

قال أحمد: حدثت بهذا أبا سليمان فقال: ليس هذا كلام الراهبة هذا كلام الأنبياء.

انتهى ذكر أهل الموصل بحمد الله ومنّه.



(١) انظر فيض القدير: (٤٩٨/٥).

ذكر المصطفيات من عابدات الرقة



١٤٧ ـ عابدة

عبيدالله بن عبدالخالق قال: سبى الروم نساءً مسلمات، فبلغ الخبر الرقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين، فقيل لمنصور بن عمار: لو اتخذت مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين فحرضت الناس على الغزو، ففعل، فبينما هو يذكرهم ويحرض إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة؛ ففك الكتاب فقرأه، فإذا فيه؛ إني امرأة من أهل البيوتات من العرب بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني، وهما ذؤابتاي فقطعتهما وصَرَرْتهما في هذه الخرقة المختومة، وأناشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله، فلعل الله العظيم أن ينظر على تلك الحال نظرة فيرحمني بها.

قال: فبكى وأبكى الناس، وأمر هارون أن ينادي بالنفير، فغزا بنفسه فأنكى فيهم وفتح الله عليهم.

قلت: هذه امرأة حسن قصدها وغلطت في فعلها؛ لأنها جهلت أن ما فعلت منهي عنه، فلينظر إلى قصدها.

***

١٤٨ ـ عابدة أخرى

من أهل الشام نُقل عنها مثل هذه.

بلغنا عن أبي قدامة الشامي قال: كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها... ثم تفرق الناس وركبت فرسي وسرت إلى منزلي فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قُدامة، فقلت: هذه مكيدة من الشيطان. فمضيت ولم أجب. فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت، فجاءت ودفعت إلي رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية.

فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا في الثواب، ولا قدرة لي على ذلك فقطعت أحسن ما فيّ، وهما ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي.

فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل فتقدمت إليه وقلت: يا فتى أنت غلام غر راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا فقال: أتأمرني بالرجوع؟ وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٦].

فحملته على هجين كان معي فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلح عليّ حتى قلت بشرط: إن من الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك، قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهماً في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. ورمى به فقتل رومياً. ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك يا أبا قُدامة فقتل رومياً، ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه. فتقدمت إليه وقلت: لا تنسها. فقال: نعم ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلم خرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيد بها فرسك، وسلم عليها فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي ثم مات.

فحفرت له ودفنته. فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها. فقال أصحابي: إنه غلام غر ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا. فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عزَّ وجلَّ فسمعت صوتاً يقول: يا أبا قدامة اترك ولي الله.

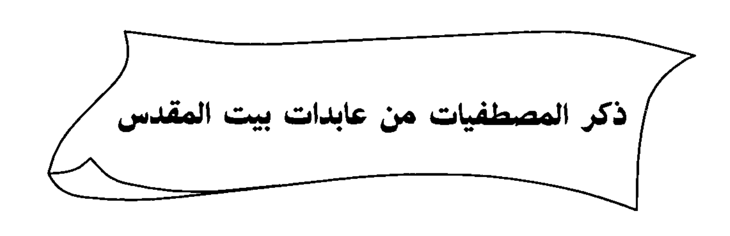
فما برحت حتى نزلت عليه طيور بيض، فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته إليّ فلما رأتني عادت وقالت: يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إليّ فقالت: أمعزياً أم مهنئاً؟ فقلت: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان مات فعزني، وإن كان استشهد فهنئني. فقلت: لا بل مات شهيداً. فقالت: له علامة فهل رأيتها؟ قلت: نعم، لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها فقالت: الحمد لله. فسلمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت منه مسحاً وغلاً من حديد، وقالت: إنه كان إذا جنه الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وقال في مناجاته: أحشرني من حواصل الطيور. فقد استجاب الله دعاءه[1].

انتهى ذكر أهل الرقة بحمد الله ومنّه.



(١) انظر الأولياء: (صفحة: ٤٦) لابن أبي الدنيا.

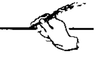


ذكر المصطفيات من عابدات بيت المقدس

١٤٩ ـ طافية

عن عطاء الخراساني قال: كانت امرأة عابدة يقال لها: طافية، تأتي بيت المقدس تتعبد فيه، وكان وهب بن منبه يقول: يا طافية ما أشد العمل عليك؟ فتقول: ما أجدني أجد شيئاً أشد عليّ من طول الفكر. قال: وكيف ذلك؟ قالت: إني إذا تفكرت في عظمة الله عزَّ وجلَّ وأمر الآخرة طاش عقلي وأظلم عليّ بصري، واسترخت لذلك مفاصلي. فقال لها وهب بن منبه: إذا أنت وجدت ذاك فافزعي إلى قراءة القرآن في المصحف.

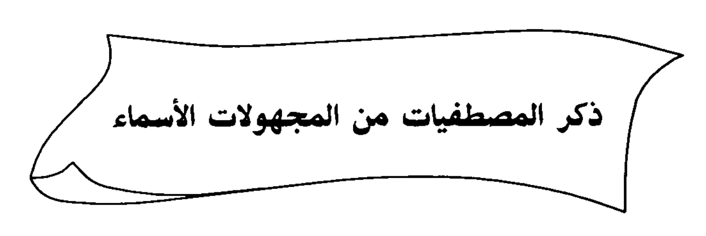
❋ ❋ ❋



١٥٠ ـ لبابة

محمد بن روح قال: قالت لبابة المتعبدة في بيت المقدس: إني لأستحي منه أن يراني مشتغلة بغيره.

محمد بن روح قال: قالت لُبابة المتعبدة: ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكره، وإذا أعياني الخلق روحني التفرغ لعبادة الله عزَّ وجلَّ والقيام إلى خدمته. وقال لها رجل: هو ذا أريد الحج فماذا أدعو بالموسم؟ فقالت: سل الله تعالى شيئين: أن يرضى عنك ويبلغك منزل الراضين عنه، وأن يجعل ذكرك فيما بين أوليائه.



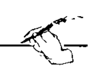
ذكر المصطفيات من المجهولات الأسماء



١٥١ ـ عابدة

عن أبي جعفر السائح قال: رأيت عجوزاً في بيت المقدس تقول: حججت ماشية اثنتي عشرة حجة ما ركبت فيها، أشتري كل سنة بأربعة دراهم سقطاً، فيكون زادي في ذهابي ومنصرفي. قال: فقلت لها: في بيت المقدس مثلك من المتعبدات؟ قال: فذكرت نسوة يفعلن مثل ما تفعل. قالت: فإذا رجعنا حملنا مغازلنا إلى المسجد فلا نخرج منه إلا لحدث أو لحاجة. قلت: وكم بقي اليوم من هذه الصفة؟ قالت: نحو من عشرة. قلت: فمن أعبدكن؟ قالت: امرأة من قريش ما نراها تكلم أحداً إنما هي في الصلاة قائمة وراكعة وساجدة يأتيها أهلها بما يصلحها.





١٥٢ ـ عابدة أخرى

عن أبي سليمان الداراني قال: حدثني سعيد الأفريقي قال: كنت ببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد فإذا أنا بجارية عليها درع شعر وخمار من صوف، فإذا هي تقول: إلٰهي وسيدي ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه. فقلت: يا جارية ما قطع الخلق عن الله عزَّ وجلَّ؟ قالت: حب الدنيا إلا أن لله عزَّ وجلَّ عباداً أسقاهم من

حبه شربةً فولهت قلوبهم فلم يُحبوا مع الله عزَّ وجلَّ غيره. ثم قالت «تنشد»:

تزود قريناً من فعالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهلهِ يُقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

❋ ❋ ❋



١٥٣ ـ عابدة أخرى

عن أبي جعفر السائح قال: رأيت امرأة في بيت المقدس في متعبد لها عليها مدرعة من شعر وخمار من شعر، وسوار من حديد، وكان لها سلسلة تعلق بها نفسها بالليل. فقلت لها: منذ متى أخذت فيما أنت فيه؟ قالت: منذ ثماني سنين. قال: ورأيت نسوة كثيرة، عليهن مدارع صوف وخمر، معتكفات في المسجد لا يتكلمن بالنهار.



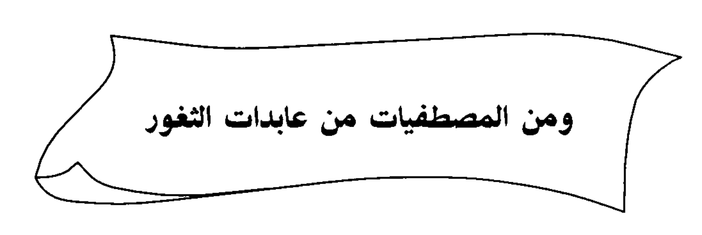


١٥٤ ـ عابدة أخرى

عثمان الرجاني قال: خرجت من بيت المقدس أريد بعض القرى في حاجة فلقيتني عجوز عليها جبة صوف وخمار صوف، فسلمت عليها فردت عليّ السلام ثم قالت: يا فتى من أين أقبلت؟ فقلت: من هذه القرية. قالت: وأين تريد؟ قلت: إلى بعض القرى في حاجة. قالت: كم بينك وبين أهلك ومنزلك؟ قلت: ثمانية عشر ميلاً. قالت: ثمانية عشر ميلاً في حاجة؟ إن هذه لحاجة مهمة، قلت: أجل. قالت: فما اسمك؟ قلت: عثمان. فقالت: يا عثمان، ألا سألت صاحب القرية أن يوجه إليك بحاجتك ولا تتعنى؟ قال: ولم أعلم الذي أرادت، قلت: يا عجوز ليس بيني وبين صاحب القرية معرفة، قالت: يا عثمان، وما الذي أوحش بينك وبين معرفته وقطع بينك وبين الاتصال به؟ فعرفت الذي أرادت فبكيت، فقالت: من أي

شيء تبكي؟من شيء كنت فعلته ونسيته أو من شيء أنسيته وذكرته؟ قلت: لا بل من شيء كنت أنسيته وذكرته. قالت: يا عثمان احمد الله عزَّ وجلَّ الذي لم يتركك في حيرتك، أتحب الله عزَّ وجلَّ؟ قلت: نعم، قالت: فاصدقني، قلت: أي والله إني لأحب الله عزَّ وجلَّ. قالت: فما الذي أفادك من طرائف حكمته إذ أوصلك إلى محبته؟ قال: فبقيت لا أدري ما أقول؟ قالت: يا عثمان، لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة. قال: فبقيتُ بين يديها لا أدري ما أقول؟ فقالت: يأبى الله عزَّ وجلَّ أن يدنس طرائف حكمته وخفي معرفته ومكنون محبته بممارسة قلوب البطالين. قلت: رحمك الله لو دعوت الله عزَّ وجلَّ أن يشغلني في محبته. فنفضت يديها في وجهي. فأعدت القول أقتضي الدعاء. فقالت: يا عبدالله امض لحاجتك، فقد علم المحبوب ما ناجاه الضمير من أجلك. ثم ولت وقالت: لولا خوف السلب لبحت بالعجب. ثم قالت: أوه من شوق لا يبرأ إلا بك، ومن حنين لا يسكن إلا إليك، فأين لوجهي الحياء منك؟ وأين لعقلي الرجوع إليك؟ قال عثمان: فوالله ما ذكرت ذلك إلا بكيت وغُشي عليّ.







١٥٥ ـ زينب الطبرية

هارون بن الحسن قال: سمعت سلماً الخواص يقول: كانت عندنا جارية يقال لها: زينب، وكانت تُحسن خدمة مولاها، فذهبت أسلم عليها فقالت: يا أبا محمد كنت منذ ليال قائمة أخدم مولاي فغلبتني عيني فسمعت قائلاً يقول:

صلاتك نور والعباد رُقود قومي فصلي للغفور الودود

قال: وخرجت يوماً في حاجة فعثرت فانقطع إصبع من أصابعها قال: فاجتمعنا رجالاً ونساء نعزيها في إصبعها، فقالت: يا إخوتي وأخواتي أنساني لذة ثوابها وجعها فوهب الله لي ولكم الرضا والعفو عما مضى، قوموا حتى نخدم من الطريقُ عليه غداً.



ذكر المصطفيات من عابدات الشام



١٥٦ ـ أم الدرداء

واعلم أن أم الدرداء اثنتان: فالكبرى تسمى: خيرة بنت أبي حدرد، زوجة أبي الدرداء، لها صحبة ورواية عن النبي ﷺ، ويقال: إنها ماتت قبل أبي الدرداء. وأم الدرداء الصغرى اسمها: هجيمة بنت حيي الوصابية، قبيلة من حمير، وهي زوجة أبي الدرداء أيضاً. ويقال فيها جهمية، وهي التي خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء فأبت أن تتزوجه.

قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: الكبرى لها صحبة، وروت عن النبي ﷺ ثلاثة أحاديث، والصغرى لا صحبة لها، روت عن أبي الدرداء وكلتاهما زوجة أبي الدرداء.

وقال أبو القاسم الطبري: يروى عن الصغرى: إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر، وزيد بن أسلم، وطلحة بن عبدالله بن كريز، وصفوان بن عبدالله بن صفوان، وعثمان بن حيان الدمشقي، وسالم بن أبي الجعد، ويونس بن ميسرة بن حلبس.

قلت: وكان لأبي الدرداء بنت تُسمى الدرداء، وليست من هذه ولا من هذه، بل من امرأة أخرى على ما ذكر محمد بن سعد. وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبدالرحمن قال: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم. قالت: فادعُ لنا بخير فإن النبي ﷺ كان يقول:

«**دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**»[1]، قال: فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي ﷺ. أخرجه مسلم في كتاب الدعاء. وأخرج متصلاً به ليدل على أن الحديث من روايتها عن أبي الدرداء، من حديث طلحة بن عبدالله بن كُريز، قال: حدثتني أم الدرداء قالت: حدثني سيدي، يعني أبا الدرداء، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: ولك بمثل**»[2]. قال أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي: قال أبو بكر البرقاني: وهذه أم الدرداء الصغرى التي روت هذا الحديث وليس لها صحبة ولا سماع من النبي ﷺ، وإنما هو من مسند أبي الدرداء. فأما أم الدرداء الكبرى فلها صحبة وليس لها في الكتابين حديث والله أعلم. قلت: فإذ قد كشفنا عن هاتين الكنيتين على ما يوجبه النظر في النقل فالأخبار التي نوردها عن الصغرى لا عن الكبرى والله أعلم.

عبدالله بن أحمد قال: حدثتني خديجة أم محمد، وكانت تجيء إلى أبي تسمع منه ويحدثها، قالت: حدثنا إسحاق الأزرق قال: حدثنا المسعودي عن عون بن عبدالله قال: كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها فقالوا: لعلنا قد أمللناك قالت: تزعمون أنكم قد أمللتموني؟ فقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر.

عن عون بن عبدالله قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها. قال: فاتكأت ذات يوم. فقيل لها: لعلنا أن نكون قد أمللناك يا أم الدرداء، فجلست فقالت: زعمتم أنكم قد أمللتموني؟ فقد طلبت العبادة بكل شيء فما وجدت أشفى لصدري ولا أحرى أن أدرك منه ما أريد من مجالسة أهل الذكر.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٧٣٣) وأحمد: (٢١٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٧٣٢).

عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: قلت لأم الدرداء: ادعي لنا: قالت: أوبلغتُ أنا ذلك؟

عن ميمون بن مهران قال: ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة إلا وجدتها مصلية.

يونس بن ميسرة بن حلبس قال: كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام.

شيخ من بني تميم قال: حدثني هزان قال: قالت لي أم الدرداء: يا هزان هل تدري ما يقول الميت على سريره؟ فقلت: لا، قالت: فإنه يقول يا أهلاه ويا جيراناه ويا حملة سريراه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي فإن أهلي لا يحملون عني من وزري شيئاً، ولو حاجوني عند الجبار لحجوني. ثم قالت أم الدرداء: الدنيا أسحر لقلوب العابدين من هاروت وماروت، وما آثرها عبد قط إلا أضرعت خده.

عن أبي عمران الأنصاري قال: كنت أقود دابة أم الدرداء فيما بين بيت المقدس ودمشق فقالت لي: يا سليمان اسمع الجبال وما وعدها الله عزَّ وجلَّ فأرفع صوتي بهذه الآية: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧]

سعيد بن عبدالعزيز قال: أشرفت أم الدرداء على وادي جهنم ومعها إسماعيل بن عبيدالله فقالت: يا إسماعيل اقرأ فقرأ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فخرت أم الدرداء على وجهها وخر إسماعيل على وجهه فما رفعا رؤوسهما حتى ابتل ما تحت وجوههما من دموعهما.

عن خالد بن ذكوان قال: أخبرتني أمي أن ابنةً لأبي الدرداء توفيت فصلت عليها أم الدرداء ثم رجعت فدعت بالمجمر فوضعته تحت ثيابها ثم ناولتنيه.

وقال يحيى بن معين: ماتت الدرداء قبل أم الدرداء، فلما دفنتها قالت: اذهبي إلى ربك وأذهب إلى ربي، فدخلت المسجد.

عن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية أم الدرداء فأبت أن تزوجه وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال النبي ﷺ: «**المرأة في آخر**

أزواجها»[1] أو قال: **«لآخر أزواجه»** أو كما قال ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً.

عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء قالت: إنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السعفة، أما تجد لها قشعريرة؟ قال: بلى قالت: فادعُ الله إذا وجدت ذلك، فإن الدعاء يستجاب عند ذلك.

❋ ❋ ❋



١٥٧ ـ عثامة

عن محمد بن سليمان أن عثامة كف بصرها. وكانت متعبدة.

قال الجروي: حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عبدالعزيز قال: ما نعلم أحداً أحنث في مشيٍ فمشى إلا عثامة فإنها حنثت فمشت إلى مكة فأنفقت خمسمائة دينار.

محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء أن أمه عثامة كُف بصرها فدخل عليها ابنها يوماً وقد صلى، فقالت: أصليتم أي بني؟ قال: نعم. فقالت.

عثام مالك لاهيه	حلت بدارك داهيه
ابكي الصلاة لوقتها	إن كنت يوماً باكيه
وابكي القرآن إذا تُلي	قد كنت يوماً تاليه
تتلينه بتفكرٍ	ودموع عينك جاريه
فاليوم لا تتلينه	إلا وعندك تاليه
لهفي عليك صبابة	ما عشت طول حياتيه[2]

❋ ❋ ❋

(١) الطبراني في الأوسط (٣/٢٧٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٦٩١).

(٢) الزهد لابن أبي عاصم: (صفحة: ١٧٠).



١٥٨ ـ أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان أخت عمر

عن علي بن أبي جملة قال: سمعت أم البنين ابنة عبدالعزيز بن مروان تقول: أفٍّ للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته.

سعيد بن مسلمة بن هشام الأموي قال: كانت أم البنين ابنة عبدالعزيز بن مروان تبعث إلى نسائها فيجتمعن ويتحدثن عندها وهي قائمة تصلي ثم تنصرف إليهن فتقول: أحب حديثكم فإذا قمتُ في صلاتي لهوتُ عنكن ونسيتكن. قال: وكانت تكسوهن الثياب الحسنة وتعطيهن الدنانير وتقول: الكسوة لكُنّ والدنانير اقسمنها بين فقرائكن. وكانت تقول: جعل لكل قوم نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله للصلة والمواساة أحب إليّ من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ، وكانت تقول: وهل ينال الخير إلا باصطناعه؟ وكانت تقول: ما حسدت أحداً قط على شيء، إلا أن يكون ذا معروف فإني كنت أحب أن أشركه في ذلك.

أحمد بن سهل قال: حدثني منصور، مولى بني أمية، قال: كانت أم البنين تعتق في كل جمعة رقبةً، وتحمل على فرس في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

قال محمد: وحدثني يوسف بن الحكم قال: حدثني مروان بن محمد بن عبدالملك بن مروان قال: دخلت عزة على أم البنين. فقالت لها: يقول كثير:

قضى كل ذي دين علمتُ غريمه   وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين يا عزة؟ فاستحيت. فقالت: على ذلك. قالت: كنت وعدته قُبلة فتحرجت منها. فقالت أم البنين: أنجزيها له وإثمها علي.

قال محمد: وقال لي يوسف بن الحكم: حدثني رجل من بني أمية يكنى أبا سعيد قال: بلغني أن أم البنين أعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت: ليتني خرستُ ولم أتكلم بها.

قال يوسف: وحدثني سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبدالملك قال: حدثتني امرأة من أهلي قالت: سمعت أم البنين تقول: ما تحلى المتحلون بشيء أحسن عليهم من عظم مهابة الله في صدورهم.

❊ ❊ ❊



١٥٩ ـ عبدة أخت أبي سليمان الداراني

أبو سليمان قال: وصفت لأختي عبدة قنطرة من قناطر جهنم، فأقامت يوماً وليلة في صيحة واحدة ما تسكت. ثم انقطع عنها بعدُ. فكلما ذكرت لها صاحت. قلتُ: من أي شيء كان صياحها؟ قال: مثلت نفسها على القنطرة وهي تُكفأ بها.

وقد روى أحمد بن [أبي] الحواري عن أبي سليمان أنه قال: سمعت أختي تقول: الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضا بفقره.

وذكر أبو عبدالرحمن السُلمي أنه كان لأبي سليمان أختان: عبدة وآمنة قال: وكانتا من العقل والدين بمحل عظيم.

❊ ❊ ❊



١٦٠ ـ رابعة بنت إسماعيل زوجة أحمد بن أبي الحواري

كذا نسبها أبو بكر بن أبي الدنيا. وقد ذكر أبو عبدالرحمن السُلمي أن رابعة العدوية تشارك هذه في اسمها واسم أبيها وعُموم ما يأتي في الحديث عن زوجة أحمد أنها رابعة بالباء، والعدوية بصرية وهذه شامية.

وقد أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأ أبو الغنائم بن النَّرْسيِّ قال: رابعة بالباء بنقطة من تحتها بصرية، ورابعة بالياء باثنتين من تحتها شامية.

أحمد بن [أبي] الحواري قال: قلت لرابعة، وهي امرأتي وقد قامت

بليل: قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل. فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت. قال: وجلست آكل وجعلت تذكرني. فقلت لها: دعينا يهنينا طعامنا.

قالت: ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لي رابعة: أي أخي أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعةِ الله أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل به دون خلقه؟

عن أحمد بن أبي الحواري قال: كانت لرابعة أحوالٌ شتى فمرةً يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها تقول في حال الحب:

حبيبٌ ليس يعدلُه حبيبُ ... ولا لسواهُ في قلبي نصيبُ
حبيبٌ غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي ما يغيبُ

وسمعتها في حال الأنس تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحتُ جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانسٌ ... وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي[١]

وسمعتها في حال الخوف تقول:

وزادي قليلٌ ما أراه مُبلغي ... أللزاد أبكي أم لطول مسافتي؟
أتحرقني بالنار يا غاية المُنى ... فأين رجائي فيك؟ أين محبتي؟

أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: إني لأضن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي، وإني لأرى ذراعي قد سمن فأحزن. قال: وربما قلت لها: أصائمة أنت اليوم؟ فتقول: ما مثلي يفطر في الدنيا. قال: وربما

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم: (صفحة: ٤٤٩).

نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبي على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكراتي أصحابنا من أثر العبادة. وقالت لي: لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان، وإنما رغبت فيك رغبةً في خدمتك، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل ملكي وما لي مثلك ومثل إخوانك.

قال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها عليّ. فكانت إذا طبخت قدراً قالت: كُلها يا سيدي فما نضجت إلا بالتسبيح. وقالت لي: لست أستحل أن أمنعك نفسي وغيري اذهب فتزوج. قال: فتزوجت ثلاثاً، وكانت تُطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك. وكنت إذا أردت جماعها نهاراً قالت: أسألك بالله لا تفطرني اليوم، وإذا أردتها بالليل قالت: أسألك الله لما وهبتني لله الليلة.

أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ما سمعت الأذان إلا ذكرتُ منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جراداً إلا ذكرت الحشر.

أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لنا رابعة: نحوا عني ذلك الطست، فإنما عليه مكتوب: مات أمير المؤمنين هارون الرشيد. قال أحمد: فنظروا فإذا هو مات ذلك اليوم.

أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن. وقالت بيدها على رأسها.

قال أحمد: ودعوت رابعة فلم تُجبني، فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت: إنما منعني من أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلأ فرحاً بالله، فلم أقدر أن أجيبك.





١٦١ ـ أم هارون

عبدالعزيز بن عمير قال: قالت أم هارون، وكانت من الخائفات

العابدات: قد أنزلتُ الدنيا منزلتها. وكانت تأكل الخبز وحده. قالت: بأبي الليلُ ما أطيبه، إني لأغتم بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليلُ قمتُ أوله، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي.

قال أحمد بن أبي الحواري: وخرجت أم هارون من قريتها تريدُ موضعها. فصاح صبي بصبي خذوه فسقطت أم هارون فوقعت على حجر فدميت، فظهر الدم من مقنعتها.

قال: وقال أبو سليمان: من أراد أن ينظر إلى صعقٍ صحيح فلينظر إلى أم هارون. وقال أبو سليمان: ما كنت أرى أنه يكون بالشام مثلها.

قال أحمد بن أبي الحواري: وقالت لي رابعة: ما دهنتْ أم هارون رأسها منذ عشرين سنة. فإذا كشفنا رؤوسنا كان شعرها أحسن من شعورنا.

وبالإسناد قال أبو بكر القرشي: وبلغني عن القاسم الجوعي قال: مرضت أم هارون فأتينا نعودها أنا وصاحب لي، فدخلنا عليها وهي على طرف الدرجة فسألناها عن حالها. فقلت لها: أم هارون أيكون من العباد من يشغله خوف النيران عن الشوق إلى الجنان؟ فقالت: آه وسقطت عن الدرجة مغشياً عليها. قال قاسم: وكانت أم هارون تأتي بيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها. فدخلتُ عليها فقالت: يا قاسم كنت أمشي ببيسان فإذا قد عرض لي هذا الكلبُ الأسدُ فمشى نحوي. فلما قرب مني نظرتُ إليه فقلتُ: تعال يا كلب، إن كان لك رزقٌ فكل. فلما سمع كلامي أقعى ثم ولى راجعاً.

أحمد بن أبي الحواري قال: قلت لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا. قلت: ولمَ؟ قالت: لو عصيتُ آدمياً ما أحببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته.





١٦٢ ـ ثويبة بنت بهلول

ابن أبي الحواري قال: سمعت ثُويبة بنت بهلول، وكانت زاهدة

دمشق، تقول: قرة عيني ما طابت الدنيا والآخرة إلا بك فلا تجمع على فقدك والعذاب.

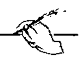
❋ ❋ ❋



١٦٣ ـ حمادة الصوفية

علي بن أبي الحُرّ قال: دخلت أنا وخُشيش الموصلي من باب الجابية وفي يدي كتاب جاءني من حمادة الصوفية. فقرأت فيه: أبلغ كل محزون بالشام عني السلام. فانتحب خُشيش على رؤوس الناس.

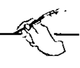
❋ ❋ ❋



١٦٤ ـ البيضاء بنت المفضل

أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أسماء الرملية، وكانت من العابدات، تقول: سألت البيضاء بنت المفضل، فقلت: يا أختي هل للمحب لله دلائل يُعرف بها؟ قالت: يا أختي والمحب للسيد يخفى؟ لو جهد المحب للسيد أن يخفي ما خفى. قلت: صفيه لي. قالت: لو رأيت المحب لله عزَّ وجلَّ لرأيت عجباً عجيباً من واله ما يقر على الأرض، طائر مستوحش أنسه في الوحدة، قد منع الراحة، طعامه الحب عند الجوع، وشربه الحب عند الظمأ، لا يمل من طول الخدمة لله تعالى[(١)].

❋ ❋ ❋



١٦٥ ـ آمنة الرملية

جعفر بن محمد، صاحب بشر، قال: اعتل بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية من الرملة. فإنها لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده. فقال:

---

(١) حلية الأولياء: (١٣/١٠).

من هذه؟ فقال هذه آمنة الرملية. بلغها علتي فجاءت من الرملة تعودني. قال: فسلها تدعو لنا. فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما. قال أحمد: فانصرفت فلما كان من الليل طرحت إلى رقعة مكتوب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«قد فعلنا ولدينا مزيد».



ذكر المصطفيات
من عابدات الشام المجهولات الأسماء



١٦٦ ـ مولاة لأبي أمامة ـ شامية

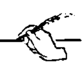
عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثتني مولاة أبي أمامة قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة ويجمع لها، ولا يرد سائلاً ولو ببيضة، ولو بتمرة أو بشيء مما يؤكل، فأتاه سائل ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً. قالت: فغضبت وقلت: لم تترك لنا شيئاً.

قالت: فوضع رأسه للقائلة. قالت: فلما نودي للظهر أيقظته فتوضأ ثم راح إلى مسجده.

قالت: فرققت عليه وكان صائماً، فاقترضت ما جعلت له عشاءً وسرجت له سراجاً وجئت إلى فراشه لأمهده له فإذا بذهب فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار. قالت قلت: ما صنع الذي صنع إلا ولقد وثق بما خلف. فأقبل بعد العشاء فلما رأى المائدة والسراج تبسم وقال: هذا خير من غيره. قالت: فقمت على رأسه حتى تعشى، فقلت: رحمك الله خلفت هذه النفقة في سبيل مضيعة ولم تخبرني فأرفعها؟ قال: وأي نفقة؟ ما خلفت شيئاً. قالت: فرفعت الفراش فلما أن رآه فرح واشتد تعجبه. قالت: فقمت

فقطعت زناري وأسلمت. قال ابن جابر: فأدركتها في مسجد حمص وهي تُعلم النساء القرآن والسنن والفرائض وتفقههن في الدين.

❊ ❊ ❊

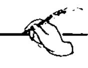


١٦٧ ـ عابدة أخرى

أحمد بن أبي الحواري يقول: بينما أنا ذات يوم في بلاد الشام في قبة من قباب المقابر ليس عليها باب، إلا كساء قد أسبلته. فإذا أنا بامرأة تدق الحائط، فقلت: من هذا؟ قالت: امرأة ضالة، دلني على الطريق رحمك الله، قلت: عن أي الطريق تسألين؟ فبكت ثم قالت: عن طريق النجاة، قلت: هيهات، إن بيننا وبين طريق النجاة عقاباً، وتلك العقاب لا تنقطع إلا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة.

قال: فبكت بكاءً شديداً ثم قالت: يا أحمد سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع، ثم خرّت مغشياً عليها. فقلت لبعض النساء: انظرن أي شيء حال هذه الجارية؟ فقمن إليها ففتشنها فإذا وصيتها في جيبها: كفنوني في أثوابي هذه فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي. وحركوها فإذا هي ميتة. فقلت: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جارية قُرشية كانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها فكنا نصفها لمتطيبي(١) الشام، فكانت تقول: خلوا بيني وبين الطبيب الراهب، تعني أحمد بن أبي الحواري، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي، لعله يكون عنده شفائي.

❊ ❊ ❊



١٦٨ ـ عابدة أخرى

محمد بن سعد التيمي قال: رأيت جارية سوداء في بعض مدن الشام وبيدها خوص تسفه، وهي تقول مع سفها:

---

(١) لعل الصواب: لمتطببي.

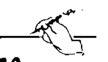
لـك عـلـم بـمـا يـجـن فـؤادي فـارحـم الـيـوم ذلـتـي وانـفـرادي

فقلت: يا سوداء ما علامة المحب؟ فإذا رجل قد صرع بالقرب منها. فنظرت إلي وإلى الرجل وقالت: يا بطال، علامة المحب الصادق لله في حبه أن يقول لهذا المجنون قُم فيقوم. فإذا الرجل قد قام وإذا الجنية تقول لها على لسانه: وحق صدق حُبك لربك لا رجعتُ إليه أبداً.

انتهى ذكر أهل الشام بحمد الله ومنّه.



ذكر المصطفيات من عابدات مصر



١٦٩ ـ فاطمة بنت عبدالرحمن بن عبدالغفار الحراني[(١)]

علي بن أبي سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبدالأعلى المصري قال: أنبأ أبي قال: فاطمة بنت عبدالرحمن تكنى أم محمد، مولدها ببغداد، وقدم بها إلى مصر وهي حدثة. سمعت من أبيها وطال عمرها حتى جاوزت الثمانين، وكانت تُعرف بالصوفية لأنها أقامت تلبس الصوف ولا تنام إلا في مصلاها بلا وطاءٍ فوق ستين سنة.

توفيت سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

❊ ❊ ❊



١٧٠ ـ أم أيمن بنت علي امرأة أبي علي الروذباري واسمها عزيزة

أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين قال: سمعت بعض أصحابنا يقول:

---

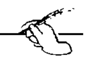
(١) وقال الخطيب البغدادي: «فاطمة بنت عبدالرحمن بن أبي صالح الحراني بن عبدالغفار بن داود . . .» .
ولكنه سماها بعد ذلك: « . . . فاطمة ابنة عبدالرحمن بن عبدالغفار بن داود بن مهران بن زياد بن رواد الربعي البكري». انظر تاريخ بغداد: (١٤/٤٤١).

كانت عزيزة امرأة أبي علي تقول: كيف لا أرغب في تحصيل ما عندك وإليك مرجعي؟ وكيف لا أحبك وما لقيت خيراً إلا منك؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتني إليك؟ وحُكي عنها أنها قالت: لا ينتفع العبد بشيءٍ من أفعاله كما ينتفع بطلب قوته من حلال. قال: وخرجت يوماً من مصر وقت خروج الحاج والجمال تمر بها وهي تبكي وتقول: واضعفاه. وتنشد على أثره وتقول:

فقلت: دعوني واتباعي ركابكم أكن طوع أيديكم كما يفعل العبدُ
وما بال رغمي لا يهون عليهم وقد علموا أن ليس لي منهم بد

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف ترى حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟

❊ ❊ ❊

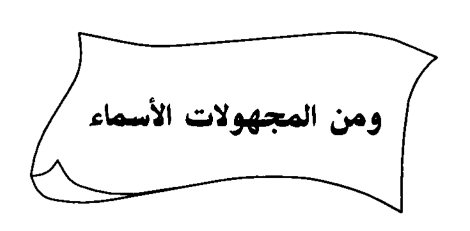


١٧١ ـ تحية النوبية

أبو عبدالرحمن محمد بن الحسن السلمي قال: سمعت الماليني الصوفي يقول: دخلت على تحية زائراً فسمعتها من داخل البيت وهي تُناجي وتقول في مناجاتها: يا من يحبني وأحبه.

فدخلت إليها وسلمت عليها وقلت: يا تحية هبي أنك تحبين الله تعالى فمن أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: نعم إني كنت في بلد النوبة وأبواي كانا نصرانيين. وكانت أمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصليب وتقول: قبلي الصليب، فإذا هممت بذلك أرى كفاً تخرج فترد وجهي حتى لا أقبله. فعلمت أن عنايته بي قديمة.





ومن المجهولات الأسماء



١٧٢ ـ عابدة

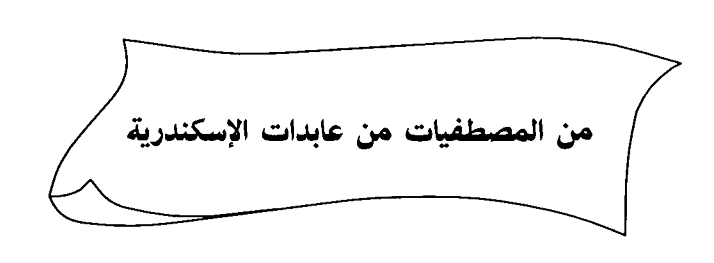
أبو عبدالله، محمد بن شجاع الصوفي قال: كنت بمصر أيام سياحتي فتاقت نفسي إلى النساء فذكرت ذلك لبعض إخواني فقال لي: ها هنا امرأة صوفية لها ابنة مثلها جميلة قد ناهزت البلوغ. قال: فخطبتها وتزوجتها، فلما دخلت إليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلي.

قال: فاستحييت أن تكون صبية في مثل سنها تصلي وأنا لا أصلي. فاستقبلت القبلة وصليت ما قدر لي حتى غلبتني عيني فنمت في مصلاي ونامت في مصلاها. فلما كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك أيضاً، فلما طال عليّ قلت: يا هذه ألاجتماعنا معنى؟ قال: فقالت لي: أنا في خدمة مولاي ومن له حق فما أمنعه. قال: فاستحييت من كلامها وتماديت على أمري نحو الشهر. ثم بدا لي في السفر، فقلت لها: يا هذه. قالت: لبيك، قلت: إني قد أردت السفر. قالت: مصاحباً بالعافية. فقمت فلما صرت عند الباب قامت فقالت لي: يا سيدي كان بيننا في الدنيا عهد لم يقض بتمامه عسى في الجنة إن شاء الله. فقلت لها: عسى. فقالت لي: أستودعك الله خير مستودع. قال فتودعت منها وخرجت.

قال: ثم عدت إلى مصر بعد سنين فسألت عنها؟ فقيل لي: هي على أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد.

انتهى ذكر أهل مصر.





١٧٣ ـ عابدة

عن حجاج بن ريان قال: دخلت أنا وابن أبي رفاعة مسجد الإسكندرية فإذا أنا بامرأة قد اعتزلت عن النساء وجعلت حولها حظيرة من حجارة، فتقدم إليها ابن أبي رفاعة فقال لها: ما لي أراك قد اعتزلت النساء وجعلت حولك هذه الحجارة؟ فقالت: يا أبا عبدالرحمن كلمة من هذه، وكلمة من هذه، وقد ذهب الصيام قال: فالتفت إلى ابن أبي رفاعة فقال: أترى هذه سمعت من مالك بن أنس شيئاً؟ يعني أن الله تعالى هو الذي بصرها.



من المصطفيات من عابدات المغرب المجهولات الأسماء

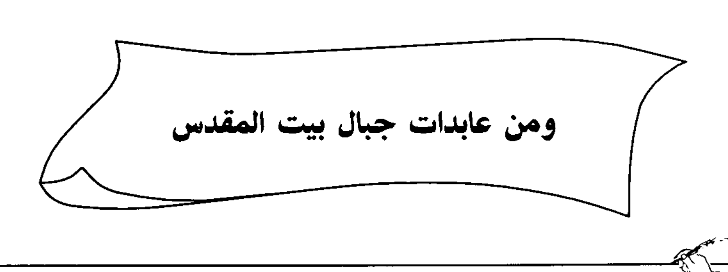


١٧٤ ـ عابدة من أهل إفريقية

محمد بن حفص قال: مررت على أخ لي من أهل مصر ونحن بالثغر، فأخرج إليّ شكالاً. فقال: انظر من أي شيء هذا الشكال؟ فنظرت فإذا شكال من شعر، كأنه من صفائه وشدة سواده قد دُهن بالدهن. فقلت: هذا عندي من أعراف الخيل العتاق الكرام. فقال: لا والله، ولكنه من شعر امرأة من أهل إفريقية جعلت منه شكالاً، ثم أرسلت به إليَّ فقالت: اجعله شكال فرس غاز في سبيل الله عزَّ وجلَّ فإني طالما تمتعت به في غير الله.

قلت: إنما ينظر إلى ذُلِّ هذه المرأة لله تعالى وقصدها لا إلى صورة فعلها لأنها جهلت أن هذا الفعل لا يجوز.





١٧٥ ـ عابدة

محمد [بن] المبارك الصوري قال: بينما أنا أجول في بعض جبال بيت المقدس إذا أنا بشخص منحدر من جبل، فإذا هي امرأة عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف. فسلمت فردت فقالت: يا هذا من أين أقبلت؟ فقلت: رجل غريب. قالت: يا سبحان الله، وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الغرباء ومحدث الفقراء؟ فبكيت، فقالت: مم بكاؤك، ما أسرع ما وجدت طعم الدواء؟ فقلت: أوَلا يبكي العليل إذا وجد طعم العافية؟ قالت: لا. قلت: لم؟ قالت: لأنه ما خدم القلب خادم هو أحب إليه من البكاء، ولا خدم البكاء خادم هو أحب إليه من الشهيق والزفير في البكاء. قلت: علميني رحمك الله فإني أراك حكيمة. فأنشأت تقول:

دنياك غرارة فذرها ... فإنها مركب جموح
دون بلوغ الجهول منها ... منيته، نفسه تطيح
لا تركب الشر واجتنبه ... فإنه فاحشٍ قبيح
والخير فاقدم عليه ترشد ... فإنه واسع فسيح

فقلت: زيديني. فقالت: أحبب ربك شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه[١].

(١) حلية الأولياء: (٩/٢٩٩).

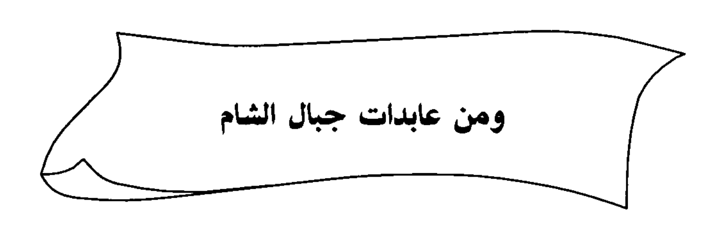
ومن عاقلات المجانين مجنونة في جبل من جبال بيت المقدس يقال لها: زهراء الوالهة



١٧٦ ـ زهراء الوالهة

محمد بن سلمة قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينما أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتاً يقول: يا ذا الأيادي التي لا تحصى، ويا ذا الجود والبقاء متع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذني من مسالك المتحيرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في جميع الحالات خادماً وطالباً، وكن لي يا منور قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحباً. قال ذو النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لي، فإذا امرأة كأنها العود المحترق، وعليها درع من الصوف، وخمار من الشعر أسود قد أضناها الجهد وأفناها الكمد وذوبها الحب، وقتلها الوجد، فقلت لها: السلام عليك. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون فقلت: لا إله إلا الله كيف عرفت اسمي ولم تريني؟ قالت: كشف عن سري الحبيب فرفع عن قلبي حجاب العمى فعرفني اسمك.

فقلت: ارجعي إلى مناجاتك. فقالت: أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة. ثم خرت ميتة. فبقيت متحيراً متفكراً. فأقبلت عجوز كالوالهة فنظرت إليها ثم قالت: الحمد لله الذي كرمها. قلت: من هذه؟ فقالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة؟ هذه ابنتي توهم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربها.

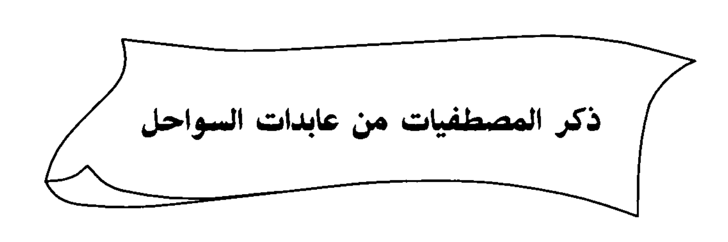




١٧٧ ـ عابدة

عبدالملك بن هاشم قال: سمعت ذا النون يقول: كنت سائراً في بعض جبال الشام فإذا أنا بكوخ فقصدته فإذا أنا بعجوز قد عميت من البكاء. فدنوت منها فسلمت وقلت: يا عجوز حدثيني ما الغنى؟ قالت: الزهد في الدنيا. قلت: فما الزهد في الدنيا؟ قالت: ترك طلب المفقود حتى يفقد الموجود.





ذكر المصطفيات من عابدات السواحل



١٧٨ ـ عابدة

محمد بن جعفر القنطري قال: قال ذو النون: بينما أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر وإذا هي ذابلة ناحلة، فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت، ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحبت ثم قالت: يا سيدي بك تفرد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك سبحت النينان[١] في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفقت الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، وكل شيء عندك بمقدار.

يا مؤنس الأبرار في خلوتهم   يا خير من حطت به النزال

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليك عني، ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أحبك حبين حب الوداد   وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الوداد   فحب شغلت به عن سواكا

---

(١) أي: الحيتان.

وأمـا الـذي أنـت أهـل لـه فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا. فبقيت أتعجب مما رأيت منها فإذا أنا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عني فغسلنها ثم أقبلن بها في أكفانها فقلن لي: تقدم فصل عليها. فتقدمت فصليت عليها، وهنّ خلفي، ثم احتملنها ومضين[1].

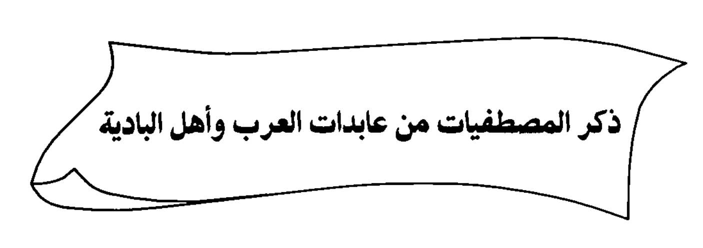


١٧٩ ـ عابدة أخرى

محمد بن أحمد السوسي الشمشاطي قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينما أنا أسير على شاطئ النيل إذا أنا بجارية تدعو وتقول: يا من هو عند ألسن الناطقين، ويا من هو عند قلوب الذاكرين، ويا من هو عند فكر الحامدين، قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين ثم صرخت وخرت مغشياً عليها.



(١) حلية الأولياء: (٩/٣٤٨) بلفظ قريب.



١٨٠ ـ خنساء بنت عمرو النخعية[1]

عن عبدالرحمن بن مغراء الدوسي، عن رجل من خزاعة قال: لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة فقالت: يا بنيّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم والله ما نبت بكم الدار ولا أقحمتكم السنة، ولا أرداكم الطمع، والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم؛ ولا غيرت نسبكم ولا أوطأت حريمكم، ولا أبحت حماكم فإذا كان غداً إن شاء الله، فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله، مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها وقد ضربت رواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا خميسها، تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فانصرف الفتية من عندها وهم لأمرها طائعون، وبنصحها عارفون فلما لقوا العدو شد أولهم وهو يقول:

يا إخوتا إن العجوز الناصحه	قد أشربتنا إذ دعتنا البارحه
نصيحة ذات بيان واضحه	فباكروا الحرب الضروس الكالحه

(١) قال ابن عبدالبر عن خنساء هذه ـ وهي الشاعرة الصحابية ـ: «وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم يكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها..» الاستيعاب: (١٨٢٧/٤).

فإنما تلقون عند الصائحه | من آل ساسان كلاباً نابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه | فأنتم بين حياة صالحه

أو ميتة تورث غنماً رابحه

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا | قد أمرتنا حدباً وعطفا
منها وبراً صادقاً ولطفا | فباكروا الحرب الضروس زحفا
حتى تكفوا آل كسرى كفا | وتكشفوهم عن حماكم كشفا
إنا نرى التقصير عنهم ضعفا | والقتل فيهم نجدة وعرفا

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخزم | ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم تزر في آل جمع الأعجم | جمع أبي ساسان جمع رستم
بكل محمود اللقاء ضيغم | ماض على الهول خضم خضرم
إما لقهر عاجل أو مغنم | أو لحياة في السبيل الأكرم

نفوز فيها بالنصيب الأعظم

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلد | والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالصواب والرشد | نصيحة منها وبراً بالولد
فباكروا الحرب نماء في العدد | إما لقهر واحتياز للبلد
أو ميتة تورث خلداً للأبد | في جنة الفردوس في عيش رغد

فقاتلوا جميعاً حتى فتح الله عزَّ وجلَّ للمسلمين، وكانوا يعطون ألفين فيجيئون بها فيصبونها في حجرها، فتقسم ذلك بينهم حفنة حفنة، فما يغادر واحد من عطائه درهماً[1].

---

(١) أورده ابن عبدالبر في الاستيعاب: (٤/١٨٢٧) وابن حجر في الإصابة: (٧/٦١٣).



١٨١ ـ منفوسة بنت زيد الفوارس

الأصمعي قال: حدثني رجل من بني ثعل قال: كنت ببعض نواحي نجد فرفعت لي فيه قبة من أدم فقصدتها فإذا أصوات نساء معولات، فدنوت منهن وسألتهن عن شأنهن. فقلن: منفوسة بنت زيد الفوارس أصيبت بابنها، وإذا هو في حجرها وهي تقول: والله لتقدمك أمامي أحبّ إليّ من تأخرك ورائي، ولصبري عنك أجدى من جزعي عليك، وما حظ مصيبة تحل من التلف محلك، وتورث من العطب مثل مضجعك؟ ولئن كان فراقك حسرة إن توقع أجرك لخيرة.

ثم قالت: لله در عمرو بن معدي كرب حيث يقول:

وإنـا لـقـوم لا تـفـيـض دمـوعـنـا   على هالك منا وإن قصم الظهرا

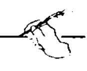
❊ ❊ ❊



١٨٢ ـ عاتكة المخزومية

إبراهيم بن محمد المخزومي قال: بكت امرأة من بني مخزوم يقال لها: عاتكة حتى ذهب بصرها. فعوتبت في ذلك، وقيل لها: ما بعد ذهاب البصر شيء. فقالت: ما ينبغي للمخوف بالنار أن تجف له دمعة حتى يعرف موقع الأمان من ذلك. فلم تزل على ذلك البكاء حتى ماتت عليه.





١٨٣ ـ منيرة السدوسية

وبالإسناد حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني عبدالله بن محمد بن حميد بن أبي الأسود قال: حدثني أبو سلمة، رجل من بني سدوس، قال: كانت لنا عجوز في الحيّ لم ندركها نحن، أدركها أشياخنا، يقال لها: منيرة، فكانت تقول إذا جاء الليل: قد جاء

الهول، قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، ما أشبه هذا بيوم القيامة. ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح.

❋ ❋ ❋



١٨٤ ـ طلحة العدوية

وبالإسناد حدثني القرشي قال: حدثنا عبدالله بن عيسى الطفاوي قال: أرسلني أبي إلى طلحة العدوية؛ فدخلنا عليها وبين يديها زنبيلان، أحدهما فيه زبيب ونبق وباقلى، فقيل لي: إنها تسبح به وتأكل منه أحياناً.

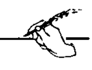




١٨٥ ـ أم سالم الراسبية

وبالإسناد حدثنا القرشي قال: قال محمد بن الحسين: حدثني أبو سمير، رجل من الأزد، قال: أتيت أم سالم الراسبية بين الظهر والعصر، فاستأذنت عليها فأذنت لي، فدخلت عليها، وإذا هي تصلي قائمة فلم تنفتل من صلاتها ولم تلتفت إليّ حتى نودي بصلاة العصر فخرجت فصليت ثم دخلت عليها فقالت: إذا كان لك حاجة فلا تأتني في هذا الوقت فإن الذي يدع الصلاة في هذا الوقت فإنما يضيع حظ نفسه.





١٨٦ ـ أم نهار العدوية

عن عتبة بن صالح الهلالي قال: شهدت أعرابية بالجفر، جفر بني عديّ، يقال لها: أم نهار العدوية، واقفة على قبر رجل، ونحن ندفنه. فقالت: أيها الناس، إنكم من الله عزَّ وجلَّ في نعمة ستر، ومن الناس بمحل تزكية، فإياكم ومصاداة زخاريف الرخاء، فإنها ليست من صفة الألبّاء، فأجلوا

شماذير الغفلة عن قلوبكم، وتأملوا أهل هذه العرصات الخرس والربوع الصموت، وأرجعوها صوراً بوهمكم: تتنسمون روح الحياة فنادوهم يسمعوا واسألوهم يخبروا. فاحيوا بموتهم وتيقظوا لغفلاتهم، وخذوا خوفكم من أمنهم، وحذركم من غرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم، والخراب في مساكنكم، وكيف حكم فيهم التراب إذ ولي الحكم فيهم فأبدلهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحركات سكوناً. رحم الله امرءاً أبصر فتدبر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب وخشي وقت العقاب، ثم قالت:

الموت يفنى ولا يبقى على أحد ... ما أحسب الموت يبقى جِدَّة الأبد

يا موت كم من كريم قد فجعت به ... من أقربيه ومن أهل ومن ولد؟

ثم قالت: تغمدكم الله بالرحمة وبلغ بكم شرف الهمة.

* * *

١٨٧ ـ عاتكة الغنوية

وبالإسناد حدثنا القرشي قال: ذكر محمد بن الحسين قال: حدثني عبيدالله بن محمد التيمي قال: حدثني جليس لنا كان يقال له: ضرار الطفاوي، قال: لقيتني امرأة من غنى، عابدة يقال لها: عاتكة. فقالت: يا ضرار، توسل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل، فإنك تجد ذلك لك موفراً عند حلول الأمور الجلائل، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب. واعلم أنه لن ينال المطيعون في الدنيا لذة أحلى في صدورهم من الازدياد لله في طاعته بقربه، ولحلاوة ساعة من مطيع ألذ في قلوب المريدين من جميع ما أخرج إلى الدنيا من زهرة ولذة، ولن يجد المريد فقد شيء تركه رجاء ثواب الله. فجِدَّ أيْ أخي قبل أن لا يمكنك الجدّ، وبادر قبل فوات المبادرة، فإن الدنيا لا تطيب لعارفها وَإنما تورطها أهل الغِرَّة، وعما قليل فسوف يعلمون. قال: أمسكت فقامت.

* * *

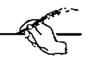


١٨٨ ـ عليلة بنت الكميت

أبو خالد القرشي قال: استأذَنا على عليلة بنت الكميت وكانت من العابدات قال: وذلك وقت الظهر. فقالوا: هي تصلي، فلم نزل ننتظرها إلى العصر، فلما صلت العصر أذنت لنا، فدخلنا عليها فقلنا: رحمك الله لم نزل قعوداً منذ الظهر ننتظرك. قالت: سبحان الله قعوداً لم تصلوا بين الظهر والعصر؟ قلنا: لا. قالت: ما ظننت أن أحداً لا يصلي بين الظهر والعصر.

قال وانقضبت عنا انقباضاً شديداً.



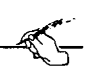


١٨٩ ـ هنيدة

عامر بن أسلم الباهلي، عن أبيه قال: كانت لنا جارية في الحيّ يقال لها: هنيدة، فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها فتقول لهم: قوموا فتوضؤوا وصلوا، فستغتبطون بكلامي هذا، فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت. فرأى زوجها في منامه: إن كنت تحب أن تزوجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات، فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما. قال: فلم يزل ذلك دأبه حتى مات. فكانوا يدعون القوّامين.



ذكر المصطفيات من عابدات العرب وأهل البادية المجهولات الأسماء



١٩٠ ـ عابدة من بني عبدالقيس

عن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز من بني عبدالقيس متعبدة، فكانت تقول: عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه.

عن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحرمت ثم قامت إلى المحراب. وكانت تقول: المحب لا يسأم من خدمة حبيبه، فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور. فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر، فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يُلَيِّنَهُ إلا رسوم البلي، وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة. فيا له من منظر كريه لو أشْربَه العباد قلوبهم ما أثكل مرارته للأنفس وأشد إتلافه للأبدان.





١٩١ ـ عابدة أخرى

الأصمعي قال: مات ابن لأعرابية فما زالت تبكي حتى خد الدمع في

خدّها. ثم استرجعت فقالت: اللهم إنك قد علمت فرط حنو الوالدين على ولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببره، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالديه من أجل ذلك حضضته على طاعتهما، وألزمته برهما. وقد كان ولدي من البرّ بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجُرْهُ بذلك مني صلاة ولقه سروراً ونضرة. فقال لها أعرابي: نعم ما دعوت له، لولا أنك شبته من الجزع بما لا يجدي عليه. فقالت: إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه، ولا في القدرة منعه، والله وَلِيَ عذري بفضله، فقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣].

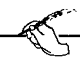




١٩٢ ـ عابدة أخرى

أبو عبدالرحمن القرشي، عن رجل من بني ثعلب، قال: شهدت امرأة من أهل البادية توصي ابناً لها وأراد سفراً فقالت: يا بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن، وتفرّق بين المحبين، ومثل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إماماً واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحلّة إزارها ورداءها.





١٩٣ ـ عابدة أخرى

الصلت بن حكيم قال: حدثني ابن السماك أن نفراً وردوا على عجوز في بعض البوادي يسألونها بيع شاة فقالت: ما كنت لأبيع أبن السبيل شيئاً، ولكن خذوها على ما عند الله، ثم بكى أبو العباس، يعني ابن السماك، وقال: رحمها الله فَقِهت في بَدْوِها.

❊ ❊ ❊

١٩٤ ـ عابدة أخرى

أبو بكر الشيرازي قال: تهت في بادية العراق أياماً كثيرة فلم أجد شيئاً أرتفق به، فلما كان بعد أيام رأيت في الفلا خباء شعر مضروباً فقصدته فإذا بيت وعليه ستر مسبل، فسلمت فردت عليَّ عجوز من داخل الخباء وقالت: يا إنسان من أين أقبلت؟ قلت: من مكة، قالت: وأين تريد؟ قلت: الشام. فقالت: أرى شبح إنسان بطال ألا لزمت زاوية تجلس فيها إلى أن يأتيك اليقين؟ ثم تنظر هذه الكسرة من أين تأكلها؟ ثم قالت: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. فقالت: اقرأ عليّ آخر سورة الفرقان، فقرأتها، فشهقت وأغمي عليها، فلما أفاقت بعد هُوِيٍّ قرأت هي الآيات فأخذت مني قراءتها أخذاً شديداً. ثم قالت: يا إنسان اقرأها ثانية. فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في الأول، وصبرت أكثر من ذلك ولم تفق. فقلت: أستكشف حالها ماتت أم لا؟ فتركت البيت على حاله ومشيت أقل من نصف ميل فأشرفت على وادٍ فيه أعراب فأقبل إليّ غلامان معهما جارية، فقال أحد الغلامين: يا إنسان أتيت البيت في الفلاة؟ قلت: نعم. قال: وتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: قتلت العجوز ورب الكعبة. فمشيت مع الغلامين حتى أتينا البيت فدخلت الجارية فكشفت عنها فإذا هي ميتة. فأعجبني خاطر الغلام فقلت للجارية: من هذان الغلامان؟

فقالت: هذان جعافرة، وهذه أختهم منذ ثلاثين سنة ما تستأنس بكلام الناس، إذا نزلنا توارى بيتها في الفلاة تأكل في كل ثلاثة أيام أكلة وشربة.

❋ ❋ ❋

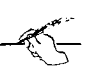


١٩٥ ـ عابدة أخرى

عن هشام، يعني ابن حسان، قال: خرجنا حجاجاً فنزلنا منزلاً في بعض الطريق فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤]. فسمعت امرأة فقالت: أعد رحمك الله.

فأعادها. فقالت: خلفت لي في البيت سبعة أعبد أشهدكم أنهم أحرار، لكل باب واحد منهم.

❋ ❋ ❋



١٩٦ ـ عابدة أخرى

مسمع قال: قالت امرأة من العرب ذات عقل ودين: سبحانك إلٰهي، إمهالك المذنبين أطمعهم في حسن عفوك عنهم، سبحانك إلٰهي، لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نال عفوك، سبحانك إلٰهي تفضلاً منك وامتناناً على خلقك.

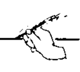
❋ ❋ ❋



١٩٧ ـ عابدة أخرى

ابن عائشة قال: نظرت أعرابية إلى فتى حسن الوجه بَضِّهِ، فقالت: إني لأرى وجهاً ما غضنه بدد وضوء السَّحَر.

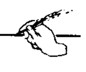
❋ ❋ ❋



١٩٨ ـ عابدة أخرى

الأصمعي قال: قال أعرابي: خرجت في ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردتها فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين؟ فقلت: إيهاً والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: وأين مكوكبها؟

❋ ❋ ❋



١٩٩ ـ عابدة أخرى

محمد بن سلام الجمحي قال: سمعت خارجة بن زياد، رجلاً من بني

سليم، يذكر قال: هويت امرأة من الحيّ فكنت أتبعها إذا خرجت إلى المسجد فعرفت ذلك مني، فقالت لي ذات ليلة: ألك حاجة؟ قلت: نعم. قالت: وما هي؟ قلت: مودتك. قالت: دع ذلك ليوم التغابن. قال: فأبكتني والله فما عدت إلى ذلك.

❊ ❊ ❊

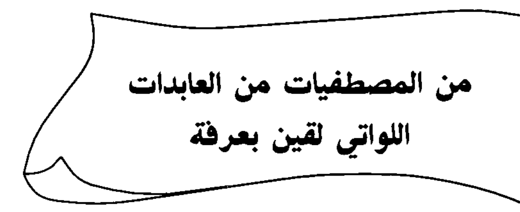


٢٠٠ ـ عابدة أخرى

بلغنا عن أبان بن تغلب أنه قال: رأيت أعرابية تمرض ابناً لها وهو لما به. فلما فاظ أغمضته ثم تنحت عن مقعدها عند رأسه ورجعت إلى مجلسها تجاهه فقالت: يا فلان ما حق من ألبس العافية وأسبغت عليه النعمة، وأطيلت له النظرة أن يعجز عن التوثق لنفسه قبل حل عقدته والحلول بعقوبته، والحيال بينه وبين نفسه. قال: فأجابها أعرابي: إنا لم نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء فلا يجزعن رجل بمصيبة بعدك ولقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء. فأقبلت عليه بوجهها ثم قالت: ما ميز رجل بين الصبر والجزع إلا أصاب بينهما منهجين بعيدي التفاوت في حاليهما، أما الصبر فحسن العلانية محمود العاقبة، وأما الجزع فغير معوض مع مأثمه، ولو كانا رجلين في صورة، كان أولاهما بالغلبة وحسن الصورة مع كرم الطبيعة في عاجله من الدين، وآجله من الثواب، وكفى ما وعد الله عزَّ وجلَّ فيه لمن ألهمه إياه.

انتهى ذكر أهل البوادي.







٢٠١ ـ عابدة لقيت بعرفة

عبدالله بن داود الواسطي قال: بينما أنا واقف بعرفات إذ أنا بامرأة وهي تقول: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فما له من هاد. فقلت: امرأة ضالة. فنزلت عن بعيري وقلت لها: يا هذه ما قصتك؟ فقالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] فقلت في نفسي: حرورية لا ترى كلامنا. فقلت لها: من أين أنت؟ فقرأت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] فأركبتها بعيري وقفلت بها أريد رحال المقدسيين. فلما توسطت قلت لها: يا هذه لمن أصوت؟ فقرأت: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]. ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]. فناديت: يا زكريا، يا يحيى، يا داود، فخرج إلي ثلاثة فتيان من بين الرجال فقالوا: أمنا ورب الكعبة ضلّت منذ ثلاث، وأنزلوها وأكرموني.

فقلت لهم: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: ما تكلمت منذ ثلاثين سنة مخافة أن تزل. قلت: هذه امرأة صالحة المقصد، إلا إنها لقلة علمها لم تدر أن

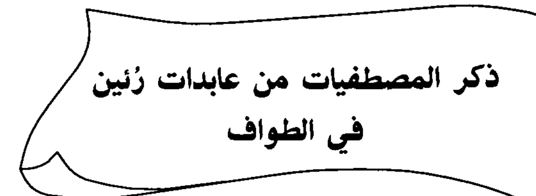
هذا الفعل منهي عنه لأنها استعلمت القرآن فيما لم يوضع له. قال ابن عقيل: لا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً من الكلام؛ لأنه استعمال له في غير ما وضع له، كما لو أراد استعمال المصحف في الوزن به أو توسده[(١)].

قال: ويكره الصمت إلى الليل؛ لأن النبي ﷺ نهى عن صمت يوم إلى الليل.



---

(١) وقد نقل ابن مفلح المقدسي في «الآداب الشرعية» تحت عنوان: (فصل في التلاوة عند المصائب لتسكينها)، أن ابن عقيل رحمه الله تعالى لما توفي ابنه عقيل سنة عشر وخمسمائةٍ وعمره سبع وعشرون سنة، وكان تفقّه وناظر في الأصول والفروع وظهر منه أشياء تدل على دينه وخيره، حزن عليه وصبر صبراً جميلاً، فلما دفن جعل يتشكر للناس فقرأ قارىء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف:٧٨]، فبكى ابن عقيل وبكى الناس وضج الموضع بالبكاء فقال ابن عقيل للقارئ: «يا هذا إن كان يهيج الحزن فهو نياحة، والقرآن لم ينزل للنوح بل لتسكين الأحزان» انتهى كلام ابن مفلح رحمه الله.



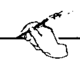
ذكر المصطفيات من عابدات رُئين في الطواف



٢٠٢ ـ عابدة

مالك بن دينار قال: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة، فإذا هي تقول: يا ربّ كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعتها، يا رب ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار. قال: فوالله ما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر. قال مالك: فوضعت يدي على رأسي ثم صرخت وجعلت أقول: ثكلت مالكاً أمه وعدمته، جويرية منذ الليلة قد بطلته[١].





٢٠٣ ـ عابدة أخرى

عن محمد بن يزيد بن حبيش قال: قال وهيب بن الورد: بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول: يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات، يا رب سبحانك، وعزتك إنك لأرحم الراحمين. يا رب ما لك عقوبة إلا النار. فقالت صاحبة لها كانت معها: يا أخية دخلت بيت ربك اليوم؟ قالت: والله ما أرى هاتين القدمين، وأشارت إلى قدميها، أهلاً للطواف

---

(١) أورده الفاكهاني في أخبار مكة: (١/٣١٩).

حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي؟ وقد علمت حيث مشتا وإلى أين مشتا[1]؟

❁ ❁ ❁



٢٠٤ ـ عابدة أخرى

عن الحسن قال: رأيت بدوية دخلت الطواف فقالت: يا حسن الصحبة، جئتك من بعيد، أقبلت أسألك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح[2].

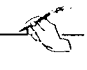
❁ ❁ ❁



٢٠٥ ـ عابدة أخرى

عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال: دخل قوم حجاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة ترينه. فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: بيت ربي بيت ربي، حتى وضعت جبهتها على البيت. فوالله ما رفعت إلا ميتة.

❁ ❁ ❁



٢٠٦ ـ عابدة أخرى

إبراهيم بن مسلم المخزومي قال: وقفت امرأة متعبدة في جوف الليل فتعلقت بأستار الكعبة، ثم بكت وقالت: يا كريم الصحبة، ويا حسن المعونة، أتيتك من شقة بعيدة متعرضة لمعروفك الذي وسع خلقك فأنلني

(١) أخبار مكة: (١/٣١٨).
(٢) أخبار مكة: (١/٣٢١).

من معروفك معروفاً تغنيني به عن معروف من سواك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. قال. ثم صرخت صرخة سقطت لوجهها فحملت مغشياً عليها.

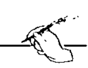
❊ ❊ ❊



٢٠٧ ـ عابدة أخرى

عن سعيد الأزرق الباهلي أنه قال: دخلت الطواف ليلاً، فبينا أنا أطوف وإذا بامرأة في الحجر ملتزمة للبيت قد علا نشيجها، فدنوت منها وهي تقول: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الأوهام والظنون، ولا تغيره الحوادث ولا يصفه الواصفون، يا عالماً بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، لا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، أسألك أن تجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك، وخير ساعاتي مفارقة الأحياء من دار الفناء إلى دار البقاء، التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك وتهين فيها من أبغضت من أعدائك، أسألك إلٰهي عافية جامعة لخير الدنيا والآخرة، مناً منك عليّ وتطولاً يا ذا الجلال والإكرام، ثم صرخت وغشي عليها.





٢٠٨ ـ عابدة أخرى

محمد بن زيد قال: سمعت ذا النون يقول: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا في الطواف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة، يبكي ويقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك، وبحت بسري إليك، واشتغلت بك عمن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك؟ ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك؟ ثم أقبل على نفسه فقال: أمهلك فما ارعويت، وستر عليك فما استحييت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت، ثم قال:

عزيزي ما لي إذا قمت بين يديك ألقيت عليّ النعاس ومنعتني حلاوة الخدمة؟ لمَ قرة عيني لمه؟ ثم أنشأ يقول:

روعت قلبي بالفراق فلم أجد ... شيئاً أمرّ من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا ... ولطالما قد كنت منه مفزعا

قال: فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفياً فلما أحس بي تجلل بخمار كان عليه ثم قال: يا ذا النون غض بصرك فإني حرام. فعلمت أنها امرأة. فقلت: والله قد شغلني قولك عن كثير مما كنت فيه. فقالت: ولمَ عافاك الله؟ أما علمت أن لله عباداً لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره.

❋ ❋ ❋



٢٠٩ ـ عابدة أخرى

عن ذي النون المصري قال: كنت في الطواف فسمعت صوتاً حزيناً وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أنت تدري يا حبيبي ... من حبيبي أنت تدري
ونحول الجسم والدمـ ... ـع يبوحان بسري
يا عزيزي قد كتمت الحـ ... ـب حتى ضاق صدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت حتى انتحبت وبكيت. ثم قالت: إلٰهي وسيدي ومولاي، بحبك لي إلا ما غفرت لي. قال: فتعاظمني ذلك وقلت: يا جارية أما يكفيك أن تقولي: بحبي لك، حتى تقولي بحبك لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، أما علمت أن لله عزَّ وجلَّ قوماً يحبهم قبل أن يحبوه؟ أما سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له؟ فقلت: من أين علمت أني ذو النون؟ فقالت: يا بطال جالت

القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك. ثم قالت: انظر من خلقك، فأدرت وجهي، فلا أدري السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها.

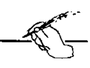
❊ ❊ ❊



٢١٠ ـ عابدة أخرى

أبو عبدالملك قال: رأيت امرأة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: اللهم إني أستعديك على نفسي.

❊ ❊ ❊



٢١١ ـ عابدة أخرى

أبو الأشهب السائح قال: بينما أنا في الطواف إذا بجويرية قد تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول: يا وحشتي بعد الأنس، ويا ذلي بعد العز، ويا فقري بعد الغنى. فقلت لها: ما لك؟ أذَهب لك مال أو أصبت بمصيبة؟ قالت: لا، ولكن كان لي قلب ففقدته. قلت: هذه مصيبتك؟ قالت: وأي مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟ فقلت لها: إن حسن صوتك قد عطل على من سمع الكلام الطواف. فقالت: يا شيخ، البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بل بيته. قالت: فالحرم حرمك أم حرمه؟ فقلت: بل حرمه. قالت: فدعنا نتدلل عليه على قدر ما استزارنا إليه. ثم قالت: بحبك لي إلا رددت عليّ قلبي. قال: فقلت: من أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: جيش من أجلي الجيوش وأنفق الأموال وأخرجني من دار الشرك وأدخلني في التوحيد وعرفني نفسه بعد جهلي إياه، فهل هذا إلا لعناية. قلت: كيف حبك له؟ قالت: أعظم شيء، وأجله. قلت: وتعرفين الحب؟ قالت: فإذا جهلت فأي شيء أعرف؟ إنه الحلو المجتنى ما اقتصر فإذا أفرط عاد خبلاً قاتلاً، أو فساداً معطلاً، وهو شجرة غرسها كريه ومجناها لذيذ ثم ولت، وأنشأت تقول:

وذي قلق لا يعرف الصبرا والعزا ... له مقلة عبري أضر بها البكا
وجسم نحيل من شجي لاعج الهوى ... فمن ذا يداوي المستهام من الضنا
ولا سيما والحب صعب مرامه ... إذا عطفت منه العواطف بالفنا

❋ ❋ ❋



٢١٢ - عابدة أخرى

الجنيد قال: حججت على الوحدة فجاورت بمكة، فكنت إذا جنّ الليل دخلت الطواف، فإذا أنا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عندي قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... وإن رمت قرباً من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا به له ... ويسعدني حتى ألذ وأطربا

قال: فقلت لها: يا جارية، أما تتقين الله تعالى في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام؟ فالتفتت إليّ وقالت: يا جنيد:

لولا التقى لم ترني ... أهجر طيب الوسن
إن التقى شردني ... كما ترى عن وطني
أفر من وجدي به ... فحبه هيمني

ثم قالت: يا جنيد، تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقلت: أطوف بالبيت. فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار. ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة ... إليك وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم ... وخلو محل القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الود غابت صفاتهم ... وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد: فغشى عليّ من قولها، فلما أفقت لم أرها.



ذكر المصطفيات
من عابدات لقين في طريق السياحة



٢١٣ ـ عابدة

ذو النون المصري قال: بينما أنا سائر في البادية إذ رأيت امرأة متعبدة، فلما أن دنت مني سلمت عليّ فرددت عليها السلام. فقالت: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند حكيم لا يوجد مثله، فصاحت وقالت: ويحك كيف فارقته وهو أنيس الغرباء؟ فأوجع قلبي كلامها فبكيت.

فقالت لي: ممَ بكاؤك؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا؛ لأن البكاء راحة القلب وهذا نقص عند ذوي العقول يا بطّال. قلت: علميني شيئاً ينفعني الله به. قالت: ويحك ما أفادك الحكيم من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوائد؟ فقلت: إن رأيت أن تعلميني شيئاً فعلت.

فقالت: اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه. فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه وإنه تعالى سقاهم في الدنيا من محبته كأساً لا يظمأون بعدها أبداً. ثم أقبلت تبكي وتقول: سيدي إلى كم تدعني في دار لا أجد فيها من يساعدني على بلائي؟ ثم مضت وهي تقول:

إذا كان داء العبد حب مليكه ... فمن دونه يرجو طبيباً مداويا؟

قلت: وقد رويت لنا هذه الحكاية بألفاظ أخر:

أنبأ عبدالرحمن بن محمد القزاز قال: أنبأ أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأ القاضي أبو القاسم عبدالواحد بن محمد البجلي قال: أنبأ جعفر بن محمد الخلدي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت ذا النون المصري قال: بينما أنا في بعض مسيري لقيتني امرأة فقالت لي: من أين أقبلت؟ قلت: رجل غريب. فقالت لي: ويحك وهل توجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء؟ فبكيت، فقالت لي: ما يُبكيك؟ قلت: وقع الدواء عليّ داء قد قرح فأسرع في نجاحه، قالت: إن كنت صادقاً فلمَ بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا. قلت: ولمَ؟ قالت: إن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، وهذا ضعف عند الأولياء يا بطّال. فبقيت متعجباً من كلامها. فقالت لي: ما لك؟ قلت: تعجباً من هذا الكلام. قالت: وقد أنسيت القرحة التي سألت عنها؟ قلت: لا، علميني شيئاً ينفعني الله به. قالت: وما أفاد الحكيم في مقامك هذا من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوائد؟ قلت: لا، ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد. قالت: صدقت، أحبب ربك واشتق إليه فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسيّ كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأساً لا يظمأون من بعدها أبداً. قال: ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول: سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يساعدني على البكاء أيام حياتي، ثم تركتني ومضت[1].

❋ ❋ ❋



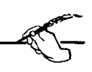
٢١٤ ـ عابدة أخرى

ذو النون قال: رأيت امرأة بنحو أرض البجة، قال: فناديتها فقالت: وما للرجال أن يكلموا النساء؟ لولا ضعف عقلك لرميتك بشيء . فقلت

(١) تاريخ بغداد: (٨/٣٩٤).

لها: بالله كيف تعرفين الزيادة؟ قالت: بتفقد الأحوال انصرف. قال: فما ناطقتها بعد ذلك.

❋ ❋ ❋

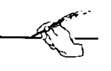


٢١٥ ـ عابدة أخرى

ذو النون بن إبراهيم قال: كنت في تيه بني إسرائيل ومعي صاحب لي، فرأيت امرأة عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف، وفي كفها عكاز من حديد. فقلت: السلام عليك ورحمة الله. فقالت: وعليك السلام، ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله؟ فقلت: أخوك ذو النون المصري. فقالت: مرحباً حياك الله بالسلام. قلت: ما تصنعين ها هنا؟ قالت: كلما أتيت إلى بلدة يعصى فيها الحبيب ضاق عليّ ذلك البلد، فأنا أطلب بقعة طاهرة أخرّ عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلى لقائه. فقلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب أحسن من ذكرك، فأي شيء المحبة؟ قالت: سبحان الله أنت الحكيم الواعظ وتسألني؟ أول المحبة يبعث على الكدّ الدائم، حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرعهم من محبته لذيذ الكؤوس، ثم صرخت وخرّت مغشياً عليها فأفاقت وهي تقول:

أحبك حبين حب الرضا	وحبّ لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الرضا	فذكر شغلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا





٢١٦ ـ عابدة أخرى

ذو النون المصري قال: بينما أنا أسير في جبال أنطاكية فإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة من صوف، فسلمت عليها فردّت عليّ السلام، ثم

قالت: ألست ذا النون المصري؟ قلت: عافاك الله كيف عرفتني؟ فقالت: عرفتك بمعرفة حبّ الحبيب، ثم قالت: أسألك عن مسألة. قلت: سلي. فقالت: أي شيء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء. قالت: هذا سخاء في الدنيا. فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة الله تعالى. قالت: فإذا سارعت إلى طاعة الله فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً، ويحك يا ذا النون إني أريد أن أطلب منه شهوة منذ عشرين سنة، فأستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء، إذا عمل طلب الأجر، ولكن أعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله ومرت وتركتني[1].





٢١٧ ـ عابدة أخرى

ذو النون المصري قال: بينما أنا أسير في تيه بني إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمن، شاخصة ببصرها نحو السماء. فقلت: السلام عليك يا أختاه. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت لها: من أين عرفتني يا جارية؟ فقالت: يا بطّال إن الله عزَّ وجلَّ خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أدارها حول العرش، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان. قلت: إني لأراكِ حكيمة، علميني شيئاً مما علمك الله عزَّ وجلَّ، فقالت: يا أبا الفيض، ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله، ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب عزَّ وجلَّ، فبعد ذلك يقيمك [على] الباب ويوليك ولاية جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة. فقلت: يا أختاه زيديني. فقالت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك وأطع الله عزَّ وجلَّ إذا خلوت يجيبك إذا دعوت.



(١) حلية الأولياء: (٣٤٠/٩).

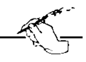
ذكر المصطفيات من العابدات اللواتي لم يعرفن باسم ولا مكان



٢١٨ ـ عابدة

عن الوليد بن مسلم قال: كانت امرأة من التابعين تقول: اللهم أقبل بما أدْبَرَ من قلبي، وافتح ما أقفل منه حتى تجعله هشاً مرتاحاً لذكرك.

❋ ❋ ❋

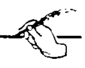


٢١٩ ـ عابدة أخرى

وبالإسناد: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثنا الحارث بن محمد التميمي قال: حدثنا عليّ بن محمد القرشي، عن جويرية بنت أسماء أن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تُسْتَر فاستشهدوا. فخرجت أمهم يوماً إلى السوق لبعض شأنها فتلقاها رجل قد حضر أمر تستر فعرفته فسألته عن بنيها. فقال: استشهدوا. فقالت: أمقبلين أم مدبرين؟ فقال: مقبلين. فقالت: الحمد لله نالوا الفوز وحاطوا الذمار[١]، بنفسي هم وأبي وأمي.

❋ ❋ ❋

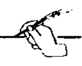
(١) الذمار: الحرم والأهل وكل ما يلزم حفظه وحمايته.



٢٢٠ ـ عابدة أخرى

عن القاسم بن معن أنه أتته امرأة فقالت: أنا امرأة فلان ما أتيك حتى خفت أن يضيق عليّ أن لا آتيك، فقال القاسم لبعض أصحابه: بقي من ذلك المال شيء؟ قال: مائتا درهم. قال: ادفعه إليها، فأخذته وانصرفت، وقال له: إذا جاءني شيء فاذكرنيها. فجاءه مال ففرقه فذكرها وقد بقي منه سبعمائة درهم، فقال: اذهب به إليها وسل عنها أهل المسجد الذي خلف منزلها والمسجد الذي دونه، ففعل، فأخبر بعفاف عنها، وعن بنات لها. قال: فأتيتها فقلت: رسول القاسم بن معن. فقالت: مرحباً بالقاسم وبرسوله، حاجتك؟ قلت: هذه السبعمائة درهم أرسل بها إليك القاسم. فقالت: أقرئه السلام وقل له: قد أخذنا تلك المائتين فنحن نغزل منها ونبيع وقد عشنا بها واستغنينا فلا حاجة لنا في هذه. فأتيت القاسم فأخبرته فقال: ويحك ألا سيبتها[1] في باب الدار؟ وقال بيده هكذا. ثم حوّل وجهه إلى القبلة وقال: اللهم إن بلوتني بخلف فاجعله هكذا.





٢٢١ ـ عابدة أخرى

أبو جعفر السائح قال: بلغنا عن امرأة متعبدة كانت تصلي الضحى مائة ركعة كل يوم، وكانت تقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] بالنهار عشرة آلاف مرة. وكانت تصلي بالليل لا تستريح. وكانت تقول لزوجها: قم ويحك إلى متى تنام؟ قم يا غافل قم يا بطّال. إلى متى أنت في غفلتك؟ أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، برّ أمك، صل رحمك، لا تقطعهم فيقطع الله بك.



---

(١) سيبتها: أي تركتها.



٢٢٢ ـ عابدة أخرى

الحسين بن جعفر قال: سمعت أبي قال: صليت العيد في الجبان ثم تفردت، فإذا أنا بعجوز رافعة يديها وهي تقول: انصرف الناس ولم أشعر قلبي اليأس يا صاحب الصدقة، ها أنا ذا منصرفة فليت شعري ما زودتني، رب ارحم ضعفي وكبر سني، خرجت أرجوك فلا تخيب ظني بك. وهي تبكي فما انتفعت بنفسي يومي كله.

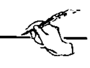
❊ ❊ ❊



٢٢٣ ـ عابدة أخرى

أبو عياش القطان بلغنا أنه كان ملك كثير المال، وكانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها، وكان يحبها حباً شديداً. وكان يلهيها بصنوف اللهو. فمكث كذلك زماناً، وكان إلى جانب الملك عابد، فبينما هو ذات ليلة يقرأ إذ رفع صوته وهو يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. فسمعت الجارية قراءته فقالت لجواريها: كفوا. فلم يكفوا. وجعل العابد الآية والجارية تقول لهم: كفوا. فلم يكفوا. فوضعت يدها في جيبها فشقت ثيابها فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصة. فأقبل إليها فقال: يا حبيبتي ما حالك منذ الليلة؟ ما يبكيك؟ وضمها إليه، فقالت: أسألك بالله يا أبت لله عزَّ وجلَّ دار فيها نار وقودها الناس والحجارة؟ قال: نعم. قالت: وما يمنعك يا أبت أن تخبرني؟ والله لا أكلت طيباً ولا نمت على لين حتى أعلم أين منزلي في الجنة أو النار؟

❊ ❊ ❊



٢٢٤ ـ عابدة أخرى

سعيد أبو عثمان، ثقة من أهل العلم قال: نظر رجل إلى امرأة فقال:

ما رأيت مثل هذا الحسن وهذه النضارة، وما ذاك إلا من قلة الحزن. فقالت: يا عبدالله، والله إني ليذبحني الحزن ما يشركني فيه أحد. قال: وكيف؟ قالت: ذبح زوجي شاة مضحياً، ولي صبيان يلعبان، فقال أكبرهما للأصغر: أريك كيف صنع أبي بالشاة؟ فعلقه فذبحه فما شعرنا به إلا متشحطاً، فلما استعلت الضجة هرب الغلام ناحية الجبل فرهقه ذئب، فأكله، ونحن لا نعلم، واتبعه أبوه يطلبه فمات عطشاً، فأفردني الدهر. قال: فكيف صبرك؟ قالت: لو رأيت في الجزع مدركاً ما اخترت عليه.

❋ ❋ ❋



٢٢٥ ـ عابدة أخرى

أبو بكر بن عبيد قال: حدثني عبيدالله بن محمد أنه سمع امرأة من المتعبدات تقول، وبكت: والله لقد سئمت الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله، وحباً للقائه. قال: قلت لها: افعلي ثقة أنت من عملك؟ قالت: لا والله، ولكن لحبي إياه وحسن ظني به، أفتراه يعذبني وأنا أحبه؟

❋ ❋ ❋



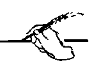
٢٢٦ ـ عابدة أخرى

عن الحسن بن جعفر أنه سمع أباه يقول: مررت بدار فإذا أنا بعجوز مكفوفة تبكي وتقول: يا حليم تقرّب الناس إليك بالأعمال يدعونك بها، فكيف أدعوك بالذنوب ولا عمل أرضاه؟ يا رب هب لي من حلمك ما تكفيني به وتنجيني من عذابك.

قال: فوقفت عليها فوعظتها وقلت: هل لك ولد؟ قالت: لا. قلت: من معك في دارك؟ قالت: سبحان الله، معي من أناجيه، فهل عليّ وحشة معه وهو أنيسي؟ قال: فأبكتني، فقلت لها: ما معاشك؟ قالت: دع عنك ما لا تحتاج إليه بلغت السن فما أحوجني إليك ولا إلى غيرك، أما تقرأ

القــــرآن: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٠]. فقلت: ائذني لي في زيارتك. فقالت: أعزم عليك إن فعلت أو ذكرت لي اسماً. ثم أجافت الباب.

❋ ❋ ❋



٢٢٧ ـ عابدة أخرى

عن العباس بن سهم أن امرأة من الصالحات أتاها نعي زوجها وهي تعجن، فرفعت يدها من العجين وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء[١].

❋ ❋ ❋



٢٢٨ ـ عابدة أخرى

وبالإسناد عن ابن روح عن بعض أهل العلم أن امرأة أتاها نعي زوجها والسّراج يقد فأطفأت السراج وقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شريك[٢].

❋ ❋ ❋



٢٢٩ ـ عابدة أخرى

عبدالملك بن شبيب، عن رجل من ولد عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: دخلت عليّ امرأة وأنا أقرأ سورة هود، فقالت لي: يا عبدالرحمن هكذا تقرأ سورة هود؟ والله إني فيها منذ ستة أشهر وما فرغت من قراءتها.

❋ ❋ ❋

(١) تقصد بالشركاء ورثة زوجها.

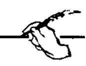
(٢) تعني بالشريك ورثة زوجها أيضاً.



٢٣٠ ـ عابدة أخرى

أبو الوليد القاضي قال: سمعت امرأة تقول: فَقَدْتُكَ مِنْ قلب أصبحت قاسياً، ولعظمة الله ناسياً، كيف تقر عيني وقد أخبرني أن قاسي القلب مني بعيد؟

❋ ❋ ❋



٢٣١ ـ عابدة أخرى

سري السقطي قال: بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت: اللهم إن إبليس عبد من عبيدك، ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إنك تقدر على أمره كله، وهو لا يقدر من أمرك على شيء، اللهم إن أرادني بشر فأرده، وإن كادني فكده، أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره. ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها، فقيل لها: اتقي الله لا تذهب الأخرى. فقالت: إن كانت عيني من عيون أهل الجنة فسيبدلني بها ما هو أحسن منها، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدهما الله تعالى.

❋ ❋ ❋



٢٣٢ ـ عابدة أخرى

عن بكر بن عبدالله المزني قال: كانت امرأة متعبدة، فكانت إذا أمست قالت: يا نفس، الليلة ليلتك لا ليلة لك غيرها، فاجتهدي. فإذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك لا يوم لك غيره فاجتهدي.



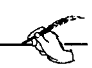
ذكر المصطفيات من بنيات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار



٢٣٣ ـ صبية

زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم، قال: بينما أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعس المدينة إذْ عَييَ فاتكأ إلى جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامْذُقِيهِ بالماء. فقالت لها: يا أماه، أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنية قومي إلى ذلك فامْذُقِيهِ بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء[١].





٢٣٤ ـ صبية أخرى

عفان بن مسلم قال: قال لي حماد بن سلمة: ألح علينا المطر سنة من

(١) تقدمت هذه القصة في أوائل هذا الكتاب وفيها زيادة أن عمر رضي الله عنه زوج هذه الصبية لابنه عاصم.

السنين وفي جواري امرأة من المتعبدات لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهن، فسمعتها تقول: يا رفيقاً ارفق بي. فسكن المطر فأخذت صرة فيها دنانير وقرعت بابها. فقالت: اللهم اجعله حماد بن سلمة. قلت: أنا حمّاد بن سلمة، وأخرجت الدنانير وقلت لها: انتفعي بهذه، فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها قد خرجت عليّ وقالت: ألا تسكت يا حماد؟ تعترض بيننا وبين ربنا؟ ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه. ثم ألصقت خدها على التراب وقالت: أما أنا وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني. ثم قالت: يا حماد رد دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذي أخرجتها منه فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس العاملين.

❋ ❋ ❋



٢٣٥ ـ صبية أخرى

بشر بن الحارث يقول: أتيت باب المعافي بن عمران فدققت الباب فقيل: من ذا؟ فقلت: بشر الحافي، فقالت له بنية له من داخل: لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك هذا الاسم[١].

❋ ❋ ❋



٢٣٦ ـ صبية أخرى

عبدالله بن محمد بن وهب قال: كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السن جداً، فطلبت من أبيها شيئاً فقال لها: يا ابنتي اطلبي ذاك من الله. فقالت: يا أبت أوَما أستحيي من الله أن أتقدم إليه في شيء يؤكل؟

❋ ❋ ❋

---

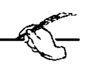
(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٧/٦٩) والذهبي في السير: (١٠/٤٧٤) والمزي في تهذيب الكمال: (٤/١٠٢).



٢٣٧ ـ صبية أخرى

أبو العباس بن مسروق قال: كُنا باليمن فرأيت صياداً يصطاد السمك على بعض السواحل، وإلى جنبه ابنة له، فكلما اصطاد سمكة فتركها في دوخلة معه ردت الصبية السمكة إلى الماء، فالتفت الرجل فلم ير شيئاً، فقال لابنته: أي شيء عملت بالسمك؟ فقالت: يا أبي أليس سمعتك تروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله عزَّ وجلَّ**»، فلم أحب أن نأكل شيئاً غفل عن ذكر الله تعالى. فبكى الرجل ورمى بالصنارة.

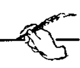




٢٣٨ ـ صبية أخرى

بلغنا أن أمير بلدة حاتم الأصم اجتاز على باب حاتم فاستسقى ماء فلما شرب رمى إليهم شيئاً من المال، فوافقه أصحابه، ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة فإنها بكت. فقيل لها: ما يبكيك؟ قالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى؟





٢٣٩ ـ بنيات جماعة

خزيمة أبو محمد قال: قال بنات رجل لأبيهن: يا أبة لا تطعمنا إلا الحلال فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار. فبلغ ذلك سفيان الثوري فقال: ما لهن رحمهن الله؟





٢٤٠ ـ ومن متعبدات الجن

صالح بن عبدالكريم قال: كنت أحبّ أن ألقى شيئاً من الجن فأكلمه،

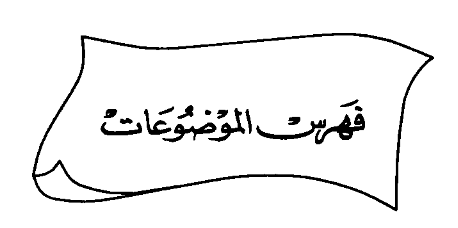
فرأيت امرأة فتعلقت بها، فقلت: عظيني. قالت: اكتب: تقول غزالة: اشتغل بأولى الأمور بك ولا تغفلْ عن ساعة إن فاتتك لم تدركها.



آخر كتاب صفة الصفوة، والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه، كتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله بعده، فقير رحمة ربه إبراهيم بن يحيى بن حسن بن طرخان بن تميم العسقلاني الخبيلي، عفا الله عنهم بكرمه، في مدة آخرها يوم الخميس بين الصلاتين بالقاهرة المحروسة بالوراقين، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من سنة سبع وسبعين وستمائة، أحسن الله خاتمتها.

والحمد لله وحده، وسلام على عباده الذين اصطفى.




فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



صَفوةُ النِّساءِ


ISBN 9953-81-187-3
9789953811871